

دكتور  
فتحي عبد القادر فرجير  
أستاذ البلاغة المساعد  
 بكلية اللغة العربية بالقاهرة

# بِحْرُثُ وَمَقَالاتُ الْبَلَاغَةِ

الطبعة الأولى  
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف  
١٩٨٤ - ١٤٠٤ م

توزيع

مكتبة التراث المصرية  
ش. عباس بالقاهرة



## المحتوى

### — مقدمة —

- ١ - أصلح العرب.
- ٢ - مؤلفات السيوطي.
- ٣ - الدرس البلاغي في تجربة جديدة .
- ٤ - البلاغة بين الطبع والصنعة .
- ٥ - السرعة وبلاهة العمل الأدبي .
- ٦ - حول الوجهة النفسية في الدرس البلاغي .
- ٧ - المدخل إلى علم البيان بين عبد القاهر والماخرين .
- ٨ - المراجع .

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله ، والصلوة  
والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلي آله  
وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

و بـ

فهذه آراء وموافق لـ مع الدرس البلاغي نشرت من قبل على صفحات عدد من المجلات العربية وقد رأيت جها في كتاب لبعض فقهاء الباحثون ويحولون الرجوع إليها وراجياً أن تكون لبنة في صرح البلاغة العربية وعلى أفقِ قصد السبيل وهو حسبنا ونتم الوكيل .

وَمَا تُوفِّقُ إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### أَفْصَحُ الْعَرَبِ<sup>(١)</sup>

اتفق الباحثون على أن القرآن الكريم كان المعجزة الكبرى له عليه الصلاة والسلام واتفقوا أيضاً على أن إعجاز القرآن بالدرجة الأولى في بلاغته ودقة نظمها ، إذ كان العرب الأول الذين عاصروا نزول القرآن أهل فصاحة وأرباب بلاغة : الشعر أنفسهم بضماعتهم والتشر أرجح تumarتهم .

وأتفقت الآراء كذلك على أن سيدنا رسول الله ﷺ كان أفعى العرب وأعلمهم بوجوه التخاطب وسبل التحدث وأن كلامه عليه الصلاة والسلام ياتي بعد كلام الله في البلاغة وقد أثر عنه ﷺ : أنا أفعى العرب ، ييد أبي من قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر .

وإذا كانت البلاغة في أكثر معاناتها شهادة تعنى : « مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فإن كلامه ﷺ قد بلغ الغاية في ذلك ، حيث كان يخاطب كل فرد بما يناسبه ، ويتحدث مع كل جماعة بما يناسبها لغة وفكراً لدرجة جعلت الصديق أبي بكر رضي الله عنه يسأله عليه الصلاة والسلام متوجهًا عن سر هذه البلاغة التي لم تتوافر لأحد من العرب وقد كان أبو بكر أعلم الناس بأحوال العرب وأنسابهم فيقول أبو بكر :

لقد طفت في العرب وسمعت فصحاهم فما سمعت أفعى منك فن أدبك (أي عليك) فقال له ﷺ : أدبي رب فاحسن تأدبي .

(١) نشر هذا المقال بالعدد : ٩٨ السنة الثانية من مجلة : اللواء الإسلامي التي تصدر بمصر بتاريخ ٣ من دينار الأول ١٤٠٤ هـ من ديسمبر ١٩٨٣ م.

وقد قال ﷺ ذلك أيضاً لعلى كرم الله وجهه الذي تمجب من مخاطبة الرسول ﷺ البعض وفود العرب الذين قدموا إلىه بما يتفق ولغة وحال كل وقد كانه عاشراً ودرس لغة كل قبيلة منهم وخاصيص كل منها وذلك في سواله له عليه الصلاة والسلام : « أَنْحَنِي بْنُ أَبِي وَرَّاكْ تَكَلَّمُ النَّاسُ بِمَا لَا تَعْرِفُ أَتَرَهُ فَنَّ عَلَيْكَ ذَلِكَ ؟ ». <sup>١</sup>

لقد كان ﷺ خير من يعرف كيف يضع قوله الموضع المناسب ، فقد أثر عنه ﷺ : « رَأَوْتُ جَوَامِعَ الْكَلْمَ ، وَذَلِكَ فِي مَقَامِ عَدِهِ لِلْقَضَائِيلِ وَالْمَزَارِيَّاتِ الَّتِي اخْتَصَهُ أَنْقَبَاهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَانِهِ كَانَ يَطْبِلُ الْكَلْمَ إِذَا كَانَ الْمَقَامُ يَقْتَضِي الإِطَّالةَ ، وَحَالَةُ السَّاعِينَ تَسْتَدِعُ الْإِطَّابَ ، مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَهُ أَبُو سَعِيدُ الْخَدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ خَطَبَ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ قَوْلًا : « أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضْرَةٌ حَلْوَةٌ ، أَلَا وَلَنْ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظَرُكُمْ كَفَّ تَعْلُمُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النَّاسَ ، أَلَا يَعْنِي رِجْلًا خَافِهُ النَّاسُ أَنْ يَقُولَ الْحَقُّ إِذَا عَلَيْهِ ». <sup>٢</sup>

قال أبو سعيد : ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس لا حرقة على أطراف السف<sup>(١)</sup> فقال : « إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيهَا مَضِيٌّ لَا كَانَ يَبْقَ مِنْ يَوْمَكُ هَذَا فِيهَا مَضِيٌّ ». <sup>٣</sup>

وهكذا لم يكن كلامه ﷺ يختنق طيباً واحداً من جوامع الكلم التي اختصه الله بها ، بل كان يتفرع بين الإيجاز والإطاب موافقة حال الساعين ، وله عليه الصلاة والسلام من محكم العبارات ومحجرها مالم يتفق مثلها لتصبح أو يليغ وما يخشى لروعة تصويرها ودقه فسحها البلاغ ، والمأذبون مثل الذي يقوله على كرم الله وجهه : « مَسَمِعْتُ كَلْمَةً غَرِيبَةً »

(١) السف : أَنْصَانَ النَّخْلِ مَادَمَتْ بِالْمُؤْرُصِ ، فَإِذَا زَالَ الْمُؤْرُصِ  
جَهَنَّمَ قَبْلَهُ : جَرِيدَةُ .

من العرب<sup>(١)</sup> إلا وسمتها من رسول الله ﷺ كقوله عليه الصلة ، والسلام في حديث الفتنة : « دهنة على دخن ، فالمدة : الصلح والمادة » ، والدخن : تغير الطعام إذا أصابه الدخان في حال طينه فأفسدأطعمه – وفي العبارة النبوية تصوّر يباني لا يدخله تصوّر ، وذلك أن الصلح إنما يكون موادحة ولبناً ، وانصرافاً عن الحرب ، وكفأً عن الآذى ، وهذه كلها من عواطف القلوب الرحيمة ، فإذا بني الصلح على فساد وكان لعلة من العلل على ذلك على القلوب فأفسدها ، كما يغلب الدخن على الطعام ، فلا يجد آكله إلا رائحة هذا الدخان ، والطعام من بعد ذلك مشوب مفسد .

ويصوّر « الجاحظ » ذلك الجاذب من بلاغته ﷺ الذي يتمثل في استعمال الإيجاز في موضعه المناسب ، والإطناب في مقامه الملائم فيقول : « كلامه ﷺ هو الكلام الذي قل عدد حروفيه ، وكثير عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، وزنه عن التكلف » استعمل المبسوط في البسط ، والمقصود في موضع القصر ، وغير الغريب الوحشى ، ورغب عن المجنين السوق ، فلم ينفع إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد خف بالعصمة ، وشد بالتأييد ، ويسير بالتوقيق ، وهذا الكلام الذي ألقى الله الحبة عليه ، وغشاه بالقبول ، وجمع بين المباهاة والخلافة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام وهو مع استغانته عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلة « ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة » ، ولم يقم له خصم ، ولا أخفى خطيب . بل يهد الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يتمنى إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم . لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعاً ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل

(١) يريد : التركيب البياني .

مذهبأ ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعأ ، ولا أسهل مخرجأ ، ولا أفصح  
عن معناه ، ولا أبين فخواه من كلامه ﷺ (١) .

وسيدنا رسول الله ﷺ صاحب تلك البلاغة العالية فرد من البشر  
ـ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ، تتفق بلاغته مع بلاغة  
البشر في وضوح أثر الإنسان وروحه فيها ذلك الآخر الذي لا يخلو منه  
ـ إلا كلام رب العزة ، وتحتفظ به من حيث : لزوم كلامه ﷺ السمو  
في كل المواطن والإصابة في جميع الأحوال والمقامات وذلك لم يتفق  
لشاعر أو ناشر إن أصاب مرة خطأ مرات وإن حالفه التوفيق وحاز قصب  
السبق في غرض من الأغراض قصر وجانية الصواب في غيره .

أما العوامل التي إبرجع إليها ذلك البيان الرابع فإنها تمثل في  
أمور منها :

١ - نشأة الرسول ﷺ اللغوية والنقدية في أحضان البداية ، وبين  
أصبح القبائل ، فكان مولده في بني هاشم ، وأخوه في بني زهرة ،  
ورضاعه في بني سعد بن بكر ، ومنشأه في قريش ، ومتزوجه في بني أسد ،  
ومهاجره إلى بني عمرو وهم الأوس والمخزرج من الأنصار ، ولم يخرج  
عن هؤلاء في النشأة وللغة ، وقد كان في قريش وبني سعد وحدهم ما يقويم  
بالعرب جملة ، ولذا قال ﷺ : أنا أوضح العرب ، ييد أني من قريش ،  
وقشأت في بني سعد بن بكر ، فسكن له من اللسان العربي أوضحه وأبلغه  
 بهذه النشأة البدوية القرشية الخالصة .

٢ - موهيبته عليه الصلاة والسلام التي تمثل في فطرة صافية ،

(١) البيان والتبيين : ٢٩١/٢

(٢) سورة الإسراء : ٩٣

وقد أذكى هذه الموهبة : دوام الفسكرة ، وطول السكتوت ، وحب الخلوة التي كانت له أعظم مرب ، فقد صفت قلبه من كل مشاغل هذا العالم ، وقيل في تلك الموهبة : « صفاء الصفاء » .

٣ - تأثره عليه الصلة والسلام بالقرآن الكريم في بيانه المجز ، وإذا كان ذلك التأثر حطاً مشتركاً بين الناس جميعاً إلا أنه كان أبين وأظهر فيه عليه الصلة والسلام لأنه أبلغ الناس وأقدمهم على فهم الوجوه البلاغية وأسرار الإعجاز القرآني فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أنا أَحَدُ النَّبِيِّينَ الْأَنْجَى لَأَنِّي بَعْدِي ، أَوْتَتِ جَوَامِعَ الْكَلْمَ وَخَوَاتِمَهُ ، وَعَلِمْتُ خَرْزَةَ وَحْلَةَ الْعَرْشِ » <sup>(١)</sup> .

٤ - الإلهام والتلقي من الله تعالى ، وذلك أن الله ابتعثه في العرب وكانت أهل بلاغة وبيان ، تتعدد طهاراتهم بتنوع قبائلهم ، فسكان من تمام البلاغة وكالحجۃ أن يخاطب كل قوم بلهجتهم وعلى مذهبهم ، ثم لا يكون إلا أقصفهم خطاباً ، وأبياتهم عبارۃ ، ومثل هذا لا يكون إلا عن تعليم وتلقين أو رواية عن أجياد العرب حتى يصر لغاتهم ويقف على طهاراتهم ، ومعروف أنه صلى الله عليه وسلم لم يتهما له شيء من ذلك ، ولا أحد من قومه ، فليس إلا أن يكون ما يخص به النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كان توفيقاً وإلهاماً من الله وبعد ذلك لهم العوامل وأقوالها ورواياته قوله سبحانه : « وَعَلِكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » <sup>(٢)</sup> .

(١) المزهر ٢٢، ٢٢/١

(٢) سورة النساء : ١١٣

- ١٠ -

واعترافه بِهِ لِلَّهِ بذلك في جوابه السابق لكل من أبي بكر وعلي رضي  
الله عنهمما يقوله : « أديبني ربى فأحسن تأديبي » .  
وفقنا الله للاتفاع بالقرآن الكريم وكلام الرسول صل الله عليه  
 وسلم في ديننا ودنيانا إله سميع مجيب .  
والحمد لله رب العالمين ۸

### مؤلفات السيابي (٥)

فن أن نجد مكتبة من المكتبات تخلو من كتب ومؤلفات للسيوطى (٦) ينفع بها الباحثون والمدارسون لعلوم العربية والإسلام وقد تعدد مؤلفات السيوطى وقوعها بلغت على حد قوله أكثر من ثلاثة عشر كتاباً سوى ما غسله وتاب عنه ، وقد جاءت هذه المؤلفات في كثير من المعرفة وهي : التفسير وتعليقاته ، والقراءات — والحديث وتعليقاته — والدعوات والأذكار — والفقه وتعليقاته — والأصول والتصوف — وعلوم العربية وتعليقاتها ، والتاريخ والأدب (٧).

وقد ذكر السيوطى في كتابه : « حسن الحاضرة » أسماء تلك المؤلفات وبينما اهتم عدد من الباحثين بحصر مؤلفات السيوطى ومعرفة العدد الحقيقي لها وأنها لا تقتصر على العدد السابق الذي ذكره السيوطى بل تزيد عن ذلك (٨) فإن يجدها من الباحثين استثنى أن يتذكر أحد من الناس على تأليف

« نشر مجلة « الحفجي » السعودية العدد الثالث — السنة الحادية عشرة  
شaban ١٤٠١ » ، يونيو ١٩٨١ م

(١) في سبب خمس لغات : « سبب بضم الميم وفتحها » ، وسبب  
يتلذث السين أقرأ ذلك في كتاب السيوطى : « التحدث بمنعة الله » تحقيق:  
البراء بن مارى سارتين ص ١٢ المطبعة العربية الحديثة مصر .

(٢) انظر : حسن الحاضرة : ١ : ٣٣٩ وما بعدها .

(٣) فقد عدله « بروكلان » ٤١٥ مصنفاً بين مطبوع ومحظوظ ،  
و « فلورغل » ٥٦٠ مصنفاً ، وجبل بك العظم : ٥٧٦ مصنفاً بين كتب كثيرة  
ورسائل ومقامات ، وذكره ابن ياس فيمن توفى في عصر الفوري ، =

هذا العدد الكبير والمتوزع من الكتب وحده ، ورأوا أن في ذلك مبالغة ،  
وأن كثيراً من المؤلفات التي تسبها السيوطي لنفسه كانت لعدد من الشيوخ  
في زمانه ، كما لا يُستبعد أن يكون السيوطي قد سطّاع على بعض المكتبات  
وادعى أن ما فيها من كتب من تأليفه وتصنيفه<sup>(١)</sup> .

وقد دافع الفريق الذي لا يشكك في صحة نسبة هذا العدد من المؤلفات  
إلى السيوطي بأن عدداً من المؤلفين قبل السيوطي وبعده قد نسب إليه  
ما يقرب من هذا العدد من الكتب فليس هناك غرابة في أن تكون تلك  
الكتب من تأليف السيوطي ، كما أن عدداً كبيراً من الكتب التي ذكرها  
كان في حجم كراس أو زيد ، ولا تعدو أن تكون مقالات يتوكّد ذلك  
كتابه : « الحاوي للفتاوی » في الفقه ، وعلوم التفسير والحديث ،  
والأصول ، والنحو ، وسائر الفنون ، وتنضم الفتاؤة ، التي أوردها السيوطي  
في هذا الكتاب عدداً كبيراً من الكتب التي ذكرها في كتابه : « حسن  
المحاضرة »<sup>(٢)</sup> .

ذلك بإيجاز موقف المصدون والمشككين في مؤلفات السيوطي وأن  
إذ أقف مع الفريق المصدق أسوق من الأدلة على ذلك :

== وقال : بلغت مؤلفاته : ستةٌ مئةٌ ملْفأة مذكورة في فهرس كتبه ، وقد  
طبع من هذه الكتب كثيرون أحصى له يوسف سركيس في معجم المطبوعات  
العربية ٩٢ كتاباً لمهد تأليف معممه (١٣٣٩ - ١٩١٩ م) وقد طبع له  
بعد هذا التاريخ مؤلفات أخرى . أنتظِر : مقدمة : معترك القرآن في أج悲哀  
مقرآن للسيوطى تحقيق : علي البحارى ص : ٢

(١) المرجع السابق ص : ٢

(٢) أنتظِر : المرجع السابق ص : ١ ، والإتقان في علوم القرآن ١ : ٣  
وما بعدها تحقيق : محمد أبو النعول إبراهيم .

١ - أن كثيراً من الأسماء التي ذكرها السيوطي لكتبه في كتابه : « حسن الحاضرة » لم تكن كabadia من صياغتها عناوين لكتب ذات موضوعات متعددة ، بل أنها صيغت لغير عن موضوع محدد ، يعنى أنها أقرب إلى أن تكون شبيه مقالات ، وعما يتوارد ذلك أنى عثرت في قسم الخطوطات بدار السكك المصرية على نسخة واحدة في مجلد صغير الحجم السيوطي تشمل على عدة موضوعات في علوم مختلفة ، وقد جاء كل موضوع منها في أربع صفحات أو أكثر بقليل ، وقد نقلت من هذه الموضوعات موضوعاً بعنوان « فتح الجليل للعبد الذليل »<sup>(١)</sup> ، يتحدث فيه السيوطي عن الفتن البديعية في قول الله تعالى : « إله ولـى الدين آمنوا بـغـرـجـهمـ منـ الـظـلـمـاتـ إـلـىـ التـورـ وـالـذـينـ كـفـرـاـ أـولـبـاـؤـمـ الطـاغـوتـ بـغـرـجـهمـ منـ التـورـ إـلـىـ الـظـلـمـاتـ أـلـئـكـ أـحـاحـابـ التـارـيـخـ فـيـهاـ خـالـدـونـ »<sup>(٢)</sup> ، وقد وجـدتـ المـوـضـوعـ السـابـقـ مـذـكـورـآـمـ بـمـنـ مـؤـلـفـاتـ السـيـوـطـيـ فـيـ «ـ حـسـنـ الـحـاضـرـةـ » فـأـكـدـلـىـ ذـلـكـ أـنـ كـثـيرـآـمـ مـؤـلـفـاتـ السـيـوـطـيـ كـانـتـ عـلـىـ هـذـهـ الصـورـةـ وـلـاـ تـرـيدـ عـنـ صـفـحـاتـ مـدـودـةـ مـاـ يـقـنـىـ أـىـ تـشـكـكـ فـيـ صـحـةـ نـسـبةـ مـاـ ذـكـرـهـ السـيـوـطـيـ مـنـ كـبـ إـلـيـهـ .

٢ - وـمـاـ جـعـلـنـيـ أـفـتـجـعـ بـصـحـةـ نـسـبةـ مـاـ ذـكـرـهـ السـيـوـطـيـ مـنـ كـبـ إـلـيـهـ أـيـضاـ أـنـ وـقـعـتـ عـلـىـ كـبـاـيـ بـطـبـوـعـ لـهـ بـعـنـوـانـ :ـ التـحدـثـ بـنـعـمـةـ اللهـ »<sup>(٣)</sup> ، وـقـدـ أـفـرـدـ هـذـاـ الـكـتـابـ لـلـتـرـجـمـةـ عـنـ قـصـهـ ، وـمـنـ الـأـمـرـ الـتـيـ تـحـدـثـ عـنـهـا

(١) قـتـ بـتـحـقـيقـهـ ، وـأـضـفـتـهـ إـلـىـ كـبـاـيـ الـبـدـيـعـ ، صـ : ١١٨ـ وـمـاـ بـعـدـهـ طـ أـولـ ١٣٩٨ـ هـ - ١٩٧٨ـ مـ

(٢) الـبـقـرـةـ : ٢٥٧ـ

(٣) تـوـجـدـ نـسـخـةـ مـلـهـ بـقـسـمـ الـتـرـاجـمـ بـالـمـكـتـبـةـ الـمـرـكـزـيـةـ جـامـعـةـ الـإـمـامـ محمدـ بنـ سـعـودـ الـإـسـلـامـيـةـ بـالـرـيـاضـ .

في هذا الكتاب : مؤلفاته ، وحيثه عن مؤلفاته في هذا الكتاب يختلف اختلافاً كبيراً عن حديثه عنها في كتابه : « حسن المعاشرة » الذي اعتمد عليه معظم من كتبوا عن السيوطي ، فقد جاء حديثه عن كتابه في « حسن المعاشرة » غير محدد ، حيث كان منها يتعدد كتابه وذكر أسمائها ، ففهم الدارسون أن هذه الكتب الكثيرة متقاربة الأحجام على هيئة كتب المطبوعة والتي وقع بعضها في عدة أجزاء (١) ، فاندفعوا متكترين ومتشككين .

ولذلك أدعو هؤلاء لقراءة ما كتبه السيوطي عن مؤلفاته في كتابه : « التحدث بعنصراته » حيث يتغير موقفهم ، ولا يخالفهم أدئي شرك في مؤلفات السيوطي وحده تبتهما إليه فإذا قيل السيوطي في كتابه المذكور عند حديثه عن مؤلفاته ؟ لقد صنف تلك المؤلفات ، ووزعها إلى درجات من حيث الكم والكيف فقد كر أن له كتاباً لا نظير لها تستحق أن تسمى كتاباً لما يضمنته من علم وما يدل فيها من جهد ، وأن هناك كتبآ كثيرة لا يعتد بها لكونها لم تتم ، أو تكون عمله فيها لا يريد على التقل والرواية — كما أن من كتبه التي ذكرها ما كان قد عزم على تأليفه ثم لم يمض فيه لأسباب حال دون ذلك وأسوق إليك موجزاً لهذا التصنيف لكتاب السيوطي يقال السيوطي نفسه لزداد معنى اقتناعاً بصحة نسبة مؤلفات السيوطي إليه .

لقد قسم السيوطي في كتابه : « التحدث بعنصراته » (٢) كتبه سبعة أقسام :

(١) مثل الإتقان في علوم القرآن ، والمزهر ، وطبقات الحفاظ ، وبقية الوعاء : وغيرها .

(٢) أقر أتفصيل ذلك في كتابه « التحدث بعنصراته » ص : ١٠٥ . وما بعدها .

١ - قسم ادعى فيه التفرد ، وأنه لا يظير له ، وعدد مؤلفاته  
ثمانية عشر مؤلفاً منها : الإتقان في علوم القرآن ، وبغية الوعاء ،  
وغير ذلك .

٢ - قسم ألف مابناظره ، وهو ما تم أو كتب منه قطعة صالحة من  
الكتب المعتبرة التي تبلغ مجلداً وفوقه ودونه ، وعدد مصنفات هذا القسم  
خمسون منها : تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلي من أول البقرة إلى آخر  
الإسراء ، وطبقات الحفاظ ، وطبقات المفسرين ، وعقد الجمان ، وحسن  
الحاضرة وغيرها .

٣ - قسم صغير الحجم من كراس إلى عشرة ، وكتبه تامة وعددها  
سبعون منها : التجاير في علوم التفسير ، معتبر الأقران في مشترك القرآن (١)  
وغير ذلك .

٤ - قسم وقع في كراس ونحوه ، وعدده مائة مؤلف منها : هر أصد  
المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، والجمع والتفریق بين الأنواع البدیعیة ،  
وغير ذلك .

٥ - قسم ألف في واقفات الفتاوى من كراس وفقة ودونه ،  
وعدده مائون مؤلف منها : القول النصيح في تعزین الذبیح ، والصلایح  
في صلاة التراویح ، وغير ذلك .

(١) ذلك هو اسم الكتاب كما ورد في «حسن الحاضرة» و«التحدث  
بنعمة الله» ، لكن ححق الكتاب أطلق عليه : «مشترك الأقران في أحجاء  
القرآن» ، ذاكراً أن ذلك هو اسم الكتاب في المخطوطتين اللتين اعتمد  
عليهما في تحقيقه أنظر إلى فـ «مشترك الأقران» .

٦ - وقسم لا يعتد السيوطي به ، لأن اعتناء فيه كان بالرواية المختلة وقد ألف معظم كتب هذا القسم في زمن السباع والدراسة ومن كتبه : المعجم الكبير لشيوخه ، المتنق من تفسير ابن أبي حاتم ، المتنق من تفسير الفريابي ، المتنق من تفسير البهقي ، وغيرها .

٧ - وقسم كان قد شرع فيه ولم يكتب منه إلا القليل ومنه بجمع البحرين ومطلع البدرين في التفسير ، نكث على تلخيص المفتاح ، طبقات الأصوليين ، وغيرها .

وهكذا بالتأمل في هذا الموجز لمصنفات السيوطي تتبين أن كثيراً من من أسماء كتبه التي أوردها في «حسن المعاشرة» على هيئة مقالات في صفحات معدودة ، وعدد منها على هيئة فتاوى ، وعدد آخر في مرحلة الدراسة ولا يعتمد به ، وعدد آخر لم يتمه ، ويطرح هذه الأعداد من جهة الكتب التي تحدث عن تأليفها وعدها : ثلاثة أو أكثر لا يتيح إلا قدر محدود من الكتب القيمة التي تستحق أن تسمى كتاباً والتي لا يستغرب أن تكون مؤلف واحد فضلاً عن السيوحي الذي أنهى تلخيصه في العقل والفكر والتحصيل وغير ذلك لأن يقوم بما قام به وأكثر منه ، وما ذلك بن يحفظ القرآن وعدد آخر من أمهات كتب الإسلام والعربية وهو ابن ثماق سنوات ، ويوئلاته وهو ابن ست عشرة سنة (١) .

(١) لقد توفى رحمة الله عليه الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ٩١١هـ عن أحدى وستين سنة وعشرين شهر وثمانية عشر يوماً ، أمعن معظمها في خدمة القرآن وعلومه .

## الدرس البلاغي في تجربة جديدة

— ١ —

تعميد : —

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهندي لو لا أن هدانا الله ، والصلوة  
والسلام على أفسح من نطق بلغة الصناد المزدوج بالقرآن الكريم محمد  
بن عبد الله النبي العربي الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه  
وأتباعه .

ويعد : —

فللدراسات اللغوية والأدبية بشكل فروعها هدف عام يتبخى أن يتم  
تحقيقه . ل بكل من يقترب إلى حقل اللغة والأدب درساً أو دارساً وهو  
صقل الألسنة على النطق العربي السليم والفصيح . وإزالة العقبات التي تحول  
دون الإفادة من التراث العربي والإسلامي الإفادة المرجوة التي توصل  
في الأجيال الصاعدة عروبتها وتوثيقها بأصول دينها فلا تزيفها المواصف  
الورج إلا ثباتها وتسكنا ، ولا البارات الجارفة إلا صوردا ورسوخا .  
وذلك بعد الهدف العام والعام الذي يدفعنا إلى التوسع في معاهد اللغة  
وكلياتها ودعها بكل ما يضمن له التحقق ، إذ أنه من الأمور البدنية أنا  
لأنني باللغة لمحفظها من الصياغ والتعدد كما يحدث لـ كثير من الذين يعنون

(٠) بحث منشور بمحلية كلية اللغة العربية باليابس العدد التاسع  
م ١٣٩٩ - ٥ ١٩٧٩

(٢) — البلاغة —

بلغاتهم ومع عظيم اهتمامهم فلم يضمنوا لها حفظا حيث كفانا القرآن هذه المهمة الشاقة التي لم تأت لغة من اللغات ، فهو كتاب لمن الحال الذي أنزله الله على رسوله الكريم بلسان عربي مبين ليبق أبداً الدهر كأنزل ، تغير الدنيا ولا يتغير ، وتبديل النظم والقوانين ولا يتبدل ، لم تنقض فيه آية ، ولم تختلف منه عبارة ، ولم تزد عليه جملة ولم تنقل فيه كلمة من موطنها ، فضمن بذلك للغتنا البقاء إلى الأبد ، وصدق الله حيث يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (١) .

وإذا كان ذلك هدفا عاما ينبغي تتحققه لشكل من يرد حقل اللغة ، فإن المدة هنا آخر ينبغي تتحققه أيضا وإن كان أخص من الهدف السابق ، وهو يتعلق بكل فرع من فروع الدراسات المفوية والأدبية على حد سواء ، فلشكل منها هدف معين يحاول الوصول إليه من خلال موضوعات المادة دروسها ، وإذا كان كل الهدفين مرتبطة بالآخر فإن أي درس في أي فرع للغة وأدتها ينبغي لا يخلو من إدراك أحد الهدفين السابعين بل إدراكهما معا وإلا كان غير واف حيث لم يصب الهدف ولم يتحقق الغرض .

وكل من تعرس بمطالعة التراث البلاغي متقدمه وما خلفه لا يشق عليه تحديد الأهداف الخاصة التي ينبغي أن يدور حولها الدرس البلاغي ، وتتمثل تلك الأهداف بصفة إجمالية في : الوقوف على أسرار البلاغة القرآنية ونواحي إيجازها ، والتعرف على وجود البلاغة وأمارات الفصاحة في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإدراك ما بين بلاغة القرآن وبلاعنة الرسول وبلاعنة الفصحاء من الناس من وجوده التشابه والتباين .

---

(١) سورة المجر : الآية : ٩

ومن هذه الأهداف أيضاً تنمية حاسة التدوّق وتربيّة ملحةٍ للقدْ  
بالتعرف على وجوه الحسن في الأساليب، والموازنة بين جيد الكلام  
ورديته، ولقاء الكلام وجبك البارات وصوغ الأساليب على الوجه  
المناسبة لمقتضيات الأحوال، والملائمة لمستلزمات المواقف والمقامات ولعل  
من أوضح مقدمات كتب البلاغة: تحديد الأهداف وتصویر الأغراض،  
ما ذكره أبو هلال العسكري في مقدمة كتاب الصناعتين قائلاً: «اعلم  
عليك الله الخير وذلك عليه وقبضه لك وجعلك من أهل أن أحق العلوم  
بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة باقة جل ثناؤه علم البلاغة ومعرفة  
الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق الحق الهاوي إلى سبيل  
الرشد المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفت أعلام الحق  
وأقامت منار الدين وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهنكت حجب  
الشك بيقينها، فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر  
العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عده والصدق بوعده ووعيده إذ  
كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة باقة جل اسمه».

وَهَذَا الْمُلْمَعُ بَعْدَ ذَلِكَ فَضَائِلُ مُشْهُورَةٍ وَمُنَاقِبٍ مُعْرُوفَةٍ ، مِنْهَا أَنَّ صَاحِبَ  
الْعَرَبِيَّةِ إِذَا أَخْلَى بَطْلَهُ وَفَرَطَ فِي الْمَاءِ فَاتَّهُ فَضْلَتْهُ وَهَلَقَتْ بِهِ رَذْلَةٌ  
فَوَتَّهُ عَفَى عَلَى جَمِيعِ مُخَاصِّتِهِ وَعَيَ سَائِرَ فَضَائِلِهِ ، لَأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ  
كَلَامِ جَيْدٍ وَآخَرَ رَدِيًّا وَلَفَظَ حَسْنٍ وَآخَرَ قَبِحٍ وَشَعْرَ ثَانِدٍ وَآخَرَ بَارِدٍ  
بَيْنَ جَهْلِهِ وَظَهَرِ نَفْسِهِ ، وَهُوَ أَيْضًا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَصْنَعْ قَصِيدَةً أَوْ يَنْثَرَ  
رَسَالَةً وَقَدْ فَاتَهُ هَذَا الْمُلْمَعُ مِنْ الصَّفْوَ بِالْكَدْرِ وَخَلَطَ الْفَرَرَ بِالْمَرَرِ  
وَاسْتَعْمَلَ الْوَحْشِيَّ الْعَسْكَرِ ، فَجَعَلَ نَفْسَهُ مَهْزُوَّةً لِلْجَاهِلِ وَمَهْرَةً لِلْعَاقِلِ (١)»

---

(١) أبو هلال العسكري: الصناعتين ص: ٣٢ - ٣٥ تحقيق: على  
البطاوى و محمد أبو الفضل [براهيم]

### الأمرار البلاغية بين منهج السكاكي والمناهج المعاصرة

في ضوء الأهداف السابقة التي يتبين أن يتحققها الدرس البلاغي الناجح والمفيد، وأن يلتفها كل من المعلم والطالب من خلال منهج يعين على ذلك يسكتنا أن نقرر بصدق وإخلاص أنـتـ كثـيرـاً من المناهج المستخدمة الآن في درس البلاغة لا تتحقق الأهداف السالفة.

فيينا يستقل بعضها بالدراسة الوصفية والتاريخية لموضوعات البلاغة وأعلامها منذ أن بدأ التأليف في البلاغة حتى العصر الحاضر، فإن بعضها الآخر يعنى بالدرس البلاغي لغير الهدف الذي يقصد منه ، وذلك بإغراقه بالأبحاث النفسية ودروس علم الأخلاق والجمال أو بتحويله إلى بحوث في مفردات اللغة وصيغها ، وإن يكن هذا أو ذاك آلـةـ من آلات البلاغي ، وعددـ من عددـهـ الـكـثـيرـةـ التيـ يـتبـينـ أنـ يـرـوـدـ فـسـهـ بـهـ قـبـلـ أنـ يـخـرـضـ فـيـ مـيدـانـ الـبـحـثـ الـبـلـاغـيـ إـلـاـ أـنـ كـلـمـهـ يـتـبـعـ أـنـ يـسـتـعـمـلـ بـعـيـارـ دـقـيقـ ، وـأـنـ يـسـتـعـانـ بـهـ بـصـابـ شـدـيدـ . وبالوجه الذي يجعل لدرس البلاغة كيانه ويضمن له تميزه عن غيره من الدروس ، وثبت منها تأثره بتحول فيه درس البلاغة إلى درس في الأدب شعره ونشره حسباً أنه المنهج الذي يبني الأذواق ويربي الملકـاتـ ، وفضلاً ، وفضلاً عن كونه لا يتحقق الهدف الأول والهام لدرس البلاغة أى فيما يتعلق بتدوين الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم فإنه من ناحية أخرى يفقد البلاغة تميزها واستقلالها ويعزجها بأبحاث الأدب ودروس النقد<sup>(١)</sup>.

(١) أقرأ تفصيل ذلك في كتابنا : المدخل إلى دراسة البلاغة : توزيع مكتبة النهضة المصرية - القاهرة من ص ١ - ٢٨

وغير هذه المناهج السالفة التي كان لها روادها والدعون إليها من أنصار التجديد ودعاة التطوير للدرس البلاغي ، فإن هناك المنهج السكاكى الذى دار الدرس البلاغي في ظلـك أزمانا طويلة وما زال يدور في ظلـك حتى الآن ، حيث يكاد أن يكون المنهج المستخدم في كثير من معاهد العربية وكلياتها على الرغم مما وجه إليه من انتقادات تدور غالباً حول : تصوره عن بلـغ الأهداف المرجوـة من الدرس البلاغي لوضـوح روح الجدل فيه ، وغلـبة الفـرعة المـنـتفـقـيةـ والـفـلـسـفـيـةـ عـلـيـهـ ، وإـغـراهـ بـالـاعـتـراـضـاتـ وـالـجـادـلـاتـ حـوـلـ تـحـدـيدـ المـصـطـلـحـاتـ وـمـاـ يـبـنـيهـ مـنـ اـتـفـاقـ وـاـعـتـلـافـ إـلـىـ الحـدـ الذـيـ جـعـلـهـ هـدـفـ ، وـإـقـلـالـهـ مـنـ الـجـوـانـبـ التـطـيـقـيـةـ ، وـكـانـ المـفـروـضـ أـنـ يـعـدـتـ الـعـسـكـرـ ، فـيـكـثـرـ عـرـضـ النـصـوصـ الـجـيـدةـ وـيـعـقـيـ بـيـانـ مـاـ تـحـوـيـ مـنـ أـمـرـارـ بـلـاغـيـةـ ، وـلـاـ يـوـقـفـ عـنـ الـمـصـطـلـحـاتـ وـالـأـلـقـابـ إـلـاـ بـالـقـدرـ الـذـيـ يـجـلـيـ ذـلـكـ الـهـدـفـ وـيـوـجـهـ .

وفي مجالات العمل على تطوير الدرس البلاغي وتجديده ويبلغه الأهداف المقصودة منه فإذا نقدم بـعلاـجـ نـخـسـبـهـ باـذـنـ اللهـ مـفـيدـ الدـاءـ أـصـابـ الـبـلـاغـةـ الـعـرـبـيـةـ فـطـورـهاـ الـتـائـرـ الذـيـ غـشـاءـ الـجـوـودـ وـكـاءـ الـقـمـ . وقد رأى معظم المهتمين بالدراسات البلاغية معيقاً لتطورها وصادها عن بلـغـ أـهـدـافـهاـ وـهـوـ ظـاهـرـةـ الـمـصـطـلـحـاتـ الـبـلـاغـيـةـ .

فـلتـحـدـثـ عـنـ الـمـصـطـلـحـاتـ الـبـلـاغـيـةـ . حـدـيـثـاـ بـحـلـاـ يـوـضـعـ مـاـ كـانـ مـنـ حـيـلـاتـهاـ دونـ بـلـغـ الـدـرـسـ الـبـلـاغـيـ أـهـدـافـ ، ثـمـ تـنـقـلـ بـعـدـ ذـلـكـ لـوـصـفـ الـعـلاـجـ الذـيـ نـرـىـ فـيـ الـبـرـ وـنـتـقـدـ بـهـ الشـفـاءـ .

المصطلحات البلاغية :

ذكرنا أن بلاغة السكاكي التي تتحذف منها في كثير من معاجد العربية وكلياتها لا تتحقق الأهداف المنشودة لدرس البلاغة ، وكان من أول أسباب ذلك : اهتمامها بتحديد المصطلحات والألقاب وما فيها من تشابه أو تباعد وإعطاها للتصوّص تحليلاً وتفصيلاً يعنى أن ما هو ثانوي صار أولياً وما يعنى . وسيلة آخري هدفاً وغاية ، وببدأ بذلك مع أول دروس البلاغة في تحديد الفرق بين البلاغة والفصاحة واستمر في معظم درومنها التي تهم اهتماماً واضحًا بتحديد الفروق بين المصطلحات والألقاب كبيان الفرق بين الحقيقة والمجاز والتبيه والاستعارة والكتابية والتعريض والعلان والمقابلة وغير ذلك .

ولعل أهم الموضوعات التي تصور غلبة جو المصطلحات على البلاغة موضوع البديع وما بين فتوته من تداخل وتكلّم وتضارب وتشعب الآراء واختلافها حول تحديد مفهومه ، ومن المعروف أن عبد الله بن المعتز كان أول من استعمل البديع بمعنى البلاغة ، وذكر ابن أوزاعي مئتين عشر قواع ، منها ما ذكر بعد ضمن بحثه البيان كالتشبيه والكتابية والتعريض ، وما ذكر ضمن موضوعات علم المقام كالاتفاقات والاعتراض (١) .

وكذلك صنح أبو هلال العسكري فقد استعمل البديع بمعنى البلاغة وجمله هنا أنا على أنواعها التي جمعها في خمسة وتلائين نوعاً ، وهو الذي صنحه عبد القاهر ، حيث أراد بالبديع ما يرافق البلاغة والبيان والبراعة

(١) د. بدوى طبانه - البيان العربي ط سادسة ص ١٣١ - ١٣٥

وما شاكلها ولم يحصره في أفراد محددة ، كما لم يفرق بينه وبين غيره من فنون البلاغة كفن البلاغيون المتأخرون ، كما أنت الراغبى كذلك لم يحصر البديع في عدد معين من الفنون ، فكان أحياناً يسمى وجوه البلاغة بالبيان ، وأحياناً يسمى بالبديع ، كقوله في التعليق على قول الله تعالى « أولئك الذين اشتروا الضلال بالهدى فما ربحت تجاراتهم وما كانوا مهتمدين » إله من الصنعة البدوية<sup>(١)</sup> .

وحتى ذفت العبر لم يجد البديع علما مستقلًا عن فنون البلاغة ، ولم تسيطر المصطلحات والألقاب وتحديد ما فيها من تقارب أو تباين على جو البلاغة ، وإن ظهر ذلك بين الحين والآخر فإن ظهوره كان على نطاق ضيق وفي إطار محدود ، وبالقدر الذي لا يتجاوز على روح البلاغة ودفتها .

وناق إلى صاحب مفتاح العلوم « أبو يعقوب السكاكي » فزى القسم والتحديد والاهتمام بالألقاب والمصطلحات بلغ مداه حيث يجعل البلاغة علىين هما : المعانى والبيان ، ويجعل الحسنان البدوية ثانية لها حيث يصار إليها لقصد تحسين الكلام وتزيينه<sup>(٢)</sup> ، ثم يكمل بذن الدين بن مالك<sup>(٣)</sup> ما بدأه السكاكي فيجعل البديع علما مستقلًا ويوافقه الخطاب القرزويني في ذلك.

وإذا كان ابن الأصبغ المصرى ، المتوفى سنة ٦٥٤هـ قد وصل بوجوه البديع إلى أكثر من المائة وأراد بها وجوه البلاغة ، التي استخرجها من القرآن الكريم في كتابيه : « تحرير التعبير » و « بديع القرآن » ، إذ ذكر

(١) أحد مصطلح المراigi ؛ علوم البلاغة والتعریف برجاهاط أولى ص ١١٥

(٢) وقد بلغت أنواعها عنده سبعية وعشرين نوعا

(٣) المتوفى سنة ٦٨٦هـ ، وهو صاحب كتاب « المصباح » .

فِي الْأَوَّلِ مِائَةٍ وَخَسْنَةٍ وَعُشْرَنَ فَتَا وَذُكْرُ فِي الثَّالِي مِائَةٍ وَتِسْعَةٍ فَتَنَونَ فَإِنْ كَثِيرُينَ مِنْ جَاءُوا بَعْدَهُ اسْتَمْرُوا يَجْمِعُونَ فَتَنَونَ الْبَدِيعَ عَلَى طَرِيقَةِ السَّكَاكِيِّ أَيْ فِي كُورِنِ الْبَدِيعِ مُحَسِّنًا عَرْضًا يَوْقِنُ بِهِ تَحْسِينُ السَّكَلامِ وَتَزْيِينُهُ وَأَرْدِيَّ مَا جَمِعُوهُ عَلَى مِائَةٍ وَخَسْنَةٍ فَوْعًا عَلَى نَخْوٍ مَا صَنَعَ أَحَادِيثُ الْبَدِيعِيَّاتِ الَّذِينَ كَانُوا جَلُّ اهْتِمَامِهِمْ ذَكْرُ الْأَلْوَنِ الْبَدِيعِيِّ ثُمَّ الْإِسْتَشَاهَادُ عَلَيْهِ بِبَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ كَمَا قُلَّ صَفِيُّ الدِّينِ الْحَلِيلُ الْمُتَوفِّيُّ سَنَةُ ٧٥٠ هـ فِي قَصْبَدَةِ الْأَلْيَى أَنْشَدَهَا فِي مَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ وَاسْتَهْلَكَهَا بِقُولِهِ :

إِنْ جَئْتَ سَلَمًا فَلِمَنْ جِيرَةِ الْعِلْمِ  
وَاقْسِرْ السَّلَامَ عَلَى عَرَبِ بَنْيِ سَلَمٍ<sup>(١)</sup>

وَقَدْ اعْتَدْتَ إِلَى مِائَةٍ وَخَسْنَةٍ وَأَرْبَعِينَ يَيْتَأً مِنْ بَحْرِ الْبَسِطِ ، وَضَنْ  
كُلَّ بَيْتٍ مِنْهَا مُحَسِّنًا مِنْ مُحَسِّنَاتِ الْبَدِيعِ بِعِيشَتِ بَلْغَ ما تَضَمَّنَتْهُ مِائَةٍ وَخَسْنَةٍ  
مُحَسِّنًا<sup>(٢)</sup> .

وَبِالتَّأْمِلِ فِيهَا كَتَبَهُ أَوْلُ مِنْ جَمِيلِ الْبَدِيعِ عَنْوَانًا عَلَى وِجْهِهِ الْبَلَاغَةِ  
وَهُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَتَّدُ ، وَأَوْلُ مِنْ جَمِيلِهِ مُحَسِّنًا يَصَارُ إِلَيْهِ لِفَصَدِّ تَحْسِينِ  
الْسَّكَلامِ وَتَزْيِينِهِ وَيَوْقِنُ بِهِ بَعْدَ مَطَابِقَةِ الْكَلَامِ لِمَقْضِيِ الْحَالِ وَوَضُوحِ  
الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَرَادِ أَيْ بَعْدَ عَلَى الْمَعْنَى رَأْيِيَانَ إِلَوْهُ : أَبُو يَعْقُوبِ  
الْسَّكَاكِيِّ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ كُلَّا مِنْهَا لَمْ يَرِدْ فِيهَا ذَكْرٌ مِنْ وِجْهِهِ الْبَدِيعِ إِمْتِنَى  
لَا يَتَحَاوَرُ ، بَلْ إِنَّمَا أَعْلَمَا أَنَّ الْأَبْوَابَ مَفْتُوحَةٌ لِكُلِّ مَنْ يَتَسَكَّرُ جَدِيدًا ،  
أَوْ يَعْشُرُ بِالْإِسْتِبَاطِ وَالتَّأْمِلِ عَلَى مَا يَكُونُ حَدِيثًا وَفَرِيدًا إِفَانِ الْمُعَتَّدِ يَقُولُ

(١) سَلَمٌ : جَبَلٌ فِي الْمَدِينَةِ - الْعِلْمُ : الْجَبَلُ - ذُو سَلَمٍ : جَبَلُ شَرْقِ الْمَدِينَةِ

(٢) دَهْ شَوْقِ ضَيْفٍ : الْبَلَاغَةُ تَطَوُّرُ وَتَارِيخُ طَهْ دَارِ الْمَعَارِفِ ١٩٦٥

(٣) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَتَّدُ : الْبَدِيعَ صَ ٨٤ تَعْلِيَقٌ : اغْنَاطِيلِيُّونَ كَرَاتِشِيُّوْسَكِي

في مقدمة بديعه : « فن أحب أن يقتدى بنا ويقتصر بالبديع على تلك الحسنة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحسن أو غيرها شيئاً إلى البديع أو لم يأبه غير رأينا ذله اختياره » (١) .

والسكاكى الذى عد من المحسنات البديعية سبعة وعشرين فناً كاماً سبق ، أتى الكلام عنها بمثل كلام ابن المعتز السابق حيث قال : « ذلك أن تستخرج من هذا القبيل ما شئت وتلقب كلما من ذلك بما أحبت » (٢) .

ولا يقف المرء عندما يدعو إلى ابن المعتز والسكاكى من إعمال الفسكت وإن طال التذير أملا في العثور على ألوان جديدة لم يتمكنا من الوقوف عليها فإن من يهاب النظر والتأمل ويدبر النصوص على كل الوجوه المختلطة يظاهر له ما بعد جديداً ، وذلك أمر واضح يدرك كل من يعكف على تناول النصوص بالدراسة الذاتية التي لا يردد فيها ما ذكره الساقون ، ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في تفهم النصوص القرآنية ، وإنه ليثيل السر المحقق في نظرى لعدد التقاسير وتنوعها على مر العصور بما لم يحدث لكتاب آخر من الكتب الساوية .

ومن ذلك نتبين أن الوقوف في دراسة ألوان البلاغة وقوتها في المعانى والبدفع عندما اتهى إليه السكاكي ، واستمرار الدرس البلاغى عليه حتى الآن حجر على المقول والأفهام ومنع هامن الابتكار والتوليد فضلاً عن تناقضه مع فنارة الله التي خلق الناس عليها . فنرى أن مصطلح « البديع » يشغل دارس البلاغة ومدرسه من ناحية تحديد نشاته ، والأطوار التي مر بها منذ بدأ التأليف في البلاغة ، ومن جهة فنونه وما لحقها من حرف

(١) عبداله بن المعتز : البديع ص ٨٠ تعلق أغناطيوس كراتشوفسكي

(٢) أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم ص ٢٢٩

أو إضافة على مر التاريخ، ومن فاحصة أثره البلاغي وقيمة بالنسبة للأسباب أو محسن ذات لا يستغنى الكلام عنه، ولا يتم الاقناع ويكتل الامتناع إلا به أم أنه عرضي يقتصر بهقصد التحسين والتزيين بعد أن يستوفى الكلام حظله من قتون لمحاتي والبيان كما ذكر بدر الدين بن مالك وأبو يعقوب السكري والخطيب القزويني ومن سار في معتبراه (٦).

ومن غير شك فإن التعمق في دراسة مثل ذلك إنما يكون على حساب الأهداف الأصلية التي كانت من أسبابها الدراسات الملاعبة.

وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى تَتَعَلَّقُ بِفَنُونَ الْبَدِيعِ، وَتَصْلِي اِتَّصَالًا وَأَخْرَى بِمَوْضِعِ  
الْمَصْطَلَحَاتِ وَمَا كَانَ مِنْ تَعْبَارِهِ الْمَدْرَسَ الْبَلَاغِيَّ عَنْ يَلوُغِ أَعْدَافِهِ وَهِيَ :  
تَعْدِدُ فَنُونَ الْبَدِيعِ وَعَدْمِ جَنْبَاهَا بِعَدْمِ مَعْنَيِّهِ وَأَخْلَاقِهِ كَثِيرًا وَقَلَّةً مِنْ عَصْرِ  
لِعْصَرِ بَلْ مِنْ عَالَمِ الْآخِرِ كَمَا سَبَقَ لَكَ ، إِذْ بَدَأْتَ كَذَّاكَرْ فَأَعْدَدْتَ إِنْ المُتَعَزِّ  
بِيَهَا نَيْمَةً عَشَرَ حَسْنَا ، وَأَخْدَى يَهَا فَإِلَيْهَا حَتَّى بَلَغَتْ أَكْثَرَ مِنْ مَائَةِ وَحَسْنَينِ  
لَوْنًا فِي عَصْرِ الْبَدِيعَيَاتِ ، حِيثُ لَمْ يَتَوَفَّ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَلْوَانِ عَمَلُ الْأَصَالَةِ  
وَالْإِسْتَقْلَالِ [١] كَذَّاكَرْ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَذْيَرِ مِنْ أَنْ أَرِيَابَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ قَدْ  
اَخْتَلَفَوْفَ إِنْ سَمِيَّةً أَوْ عَلَمَ الْبَيَانِ حَتَّى لَمْ أَحْدِمْ يَضْعِفْ أَنْوَاعَ وَاحِدَيْهِنِ  
اعْتِقَادًا مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ الْقَوْعَ نَوْعًا مُخْلَفَانِ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَاَوْقَعَ لَهُ بِلْ  
هَا نَوْعًا وَاحِدَّهُ [٢] .

(١) من أهم المؤلفات المعاصرة التي عنيت بدراسة البدع من هذا الجانب : علوم البلاغة والتعريف برجاحها للرحمون الأستاذ : أحمد مصطفى الزغبي ، والصيغة البدعية في اللغة العربية للأستاذ الدكتور أحمد موسي ، والصور البدعية بين النظرية والتطبيق للرحمون الدكتور حفيظ شرف .

(٢) ضياء الدين بن الأنباري : الجامع الكبير ص ٢٤٠، ٢٤١ تحقق

د. مصطفى جواد و جليل سعد - الم اق ١٢٧

فإن المتبع لفنون البديع على امتداد التأليف في البلاغة يلاحظ تداخلاً في كثير منها وأن عدداً منها يؤدى مرات بلاغياً واحداً في الوقت الذي جعل كل منها فناً برأه ونوعاً مستقلاً ، كما إن عدداً منها ذكر له أكثر من اسم ، وإن يكن في ذلك تشتيت للذهب فين فيه أيضاً بللة للفكر وإرهاقاً له في التوفيق بين الفنون وأسمائها وفي التفرقة بينها من ذلك تسمياتهم التجنيس : الأغاس والجوانس والاشتقاق ، وتسمياتهم التورية : الإيمام والتوجيه والتخيير وتسمية القشبة المقووب : غلبة الفروع على الأصول أو العıld والعمس ، وتسمية التوجيه : محتمل الضدين ، وتسمية الإرصاد : التسيم والتترشيح ، وتسمية التشريح : متحمل الضدين ، وتسمية والتشديد والإعنة والتضييق ، وتسمية التشريح : الترشيح وهذا القافيين ، وتسمية التكبيل : الاحتراس ، وتسمية د العجز على الصدر : التصدر ، وتسمية النطابقة : الطبان والتضاد والتطبيع والتكافؤ ، وتسمية التشريح : التوأم والترشيح ، وتسمية تجاهل المارف : سوق المعلوم ساق غيره ، وتسمية مراعاة التغير : الناسب والتوفيق والاتلاف والتلفيق (١) .

(١) د. أحمد مصطفى : مناهج بلاغية ط أولى ص: ٤٦ - ٤١٢ .  
وفي هذا النص لخازم القرطاجي ما يوضح الذي ذكرناه ، إذ يذكر أكثر من فن بلاغي كالإثبات والتشبيه والاستدراج والاستطراد أثناء كلامه عن فن التشريح الذي يقول عنه : « هو أن يصف الشاعر شيئاً بوصف ما ، ثم يلتفت إلى شيء آخر يوصف بصفة معاةلة أو مشابهة أو مختلفة لما وصف به الأول ، فيتدرج من أحدهما إلى الآخر ، ويستطرد به إلى على جهة تجبيه أو مقاومته أو إثباته أو غير ذلك مما يناسب به بين بعض المعانى وبعض ، فيكون ذكر الثاني كالفرع عن ذكر الأول ، ومن ذلك قول الكيل :

أحلامكم لسقام الجهل شافية  
كما دعاؤكم يشفى بها الكلب =

ولعل كثيرون من المهتمين بالدراسات البلاغية والقدبية يدركون مدى  
ما يعانيه الباحث وهو يتبع هذه الفنون من متابعة في تحديد بدایات  
تسميتها ، وما يبناها من وجوه التشابه والتباين ، وهذا كما سبق أن ذكرنا  
يجمود بيسفل في غير مرضه ، إذ كان الأولى والألائق أن تدخل تلك  
الجهود لتحليل النصوص منشورها ومنظومها تعليلاً بلاغياً ونقدياً يشير إلى  
وجوه الحسن لتحذى وبنها إلى مواطن الضعف لتجتذب ، وذلك هو  
الدرس البلاغي الهدف والتاجر ، والذي كانت عليه البلاغة في أوج  
ازدهارها قبل أن يطفئ عليها طوفان المصطلحات .

والدرس البلاغي المعاصر يتبين أن يتخفف من تقل المصطلحات  
وتراحمها ، وأن ترفع العقبات من طريقه ليبلغ أهدافه وبحقق أغراضه ،  
ولما كانت أرى أن دراسة البديع على أنه ذاتي وأصيل وليس عرضياً ولا  
طارقاً أمر تقرره قاعدة البلاغة وحيثمه ميزانها الأقوم وهو : المطابقة  
لمقتضى الحال يعني أن كل ما تقتضيه الأحوال وتدعوه إليه الواقع من  
الأساليب والعبارات فإنه من حجم البلاغة وما كان على غير ذلك فإنه حشو  
وزيادة<sup>(١)</sup> ، فلأنه أضيف إليه أن «ما يبلغ بالدرس البلاغي أهدافه لا يتفق  
في المحسنات البدوية عندما اتته السكاكي ، إذ أنه ينافق الفطرة ويتنافي  
مع ما ذكره السكاكي نفسه كما سبق أن بينا .

ولعل ما ذكرته عن ظاهره المصطلحات كداء أصحاب البلاغة وعاتها  
عن بلوغ أهدافها كافٍ في ذلك . فلتنتبه ذلك بوصف الدواء المناسب ،  
وهو من واقع التجارب مع درس البلاغة يتمثل في جمع الفنون المتشابهة

— فلا ندرى أهـر يتحدث عن فن واحد أم عدد من الفنون ؟ حازم  
القرطاجي : منهاج البلاغة . ص ٥٩ ، ٦٠ تحقيق : الحبيب بن الحجاج .

(١) فتحى فريد : البديع — دار الطباعة المحمدية القاهرة ١٩٧٧ م .

والتي يضمها مر بлагى واحد تحت هذا السر ، وإذا كان في ذلك تقليل للأقسام وحسم للتدخل والتكرار والتضارب فإن فيه أيضاً منها لفتنت الذهن وإرهاق الفكر واضطراب المقل ، وقد لقبت هذه الطريقة بـ :

الطريقة الموضوعية في تدريس البلاغة :

وتحقق بدراسة الفنون التي يضمها مر بлагى واحد تحت السر ، وقد لقيتها بالطريقة الموضوعية في تدريس البلاغة على غرار مايعرف بالتفصير الموضوعي الذي يقوم على جمع الآيات التي تتعلق بقضية معينة ، ودراسة كل ما يتعلق بالقضية من خلال معرفة ظروف الآيات وملابساتها ومن حسنهات هذه الطريقة أنها تعين على حصر فنون البلاغة وتذكر مسائلاً ، وتقتضي على اضطراب الفكر ، وتشتت الذهن ، كما أنها تحافظ على كيان الفنون واستقلالها ، ولا غرو فإنما تعد الطريقة التي سلكها شيخ البلاغة « عبد القاهر » ، واستخدمنا في معظم أبحاثه ، من ذلك حدبه عن : الفطم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع — فقد تسلّم عن المزاوجة ، والمسكس والتبدل ، والتشيل ، والتثنية المركب ، والاستمار والتقسم<sup>(١)</sup> .

كما استخدم تلك الطريقة في دروس : التقديم والتأخير ، والخلف والذكر ، والفصل والوصل ، والقصر ، وقد تناول المتأخر عن كما تعرف هذه الدروس بصورة غير موضوعية كما فعل عبد القاهر ، بل تكرر كلامهم عنها في غير موطن — عند مرد أحوال المستد إليه ، وأحوال المستد ، وفي متعلقات الفعل .

و واضح أن تناول قضايا البلاغة ودراسة فتوتها على هذا النهج

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص : ٧٢ ، ٧٣ تحقيق أحد مصطفى المراغي ط ثانية .

الموضوعى الذى طبقه عبد القاهر يقىد ويرجع كلام المعلم والطالب ، ويبلغ بالدرس البلاغى أهدافه ، كما يعد من أهم الأمور التى ينبغي الاعتناء بتطبيقها في مجال تطوير الدرس البلاغى وتحديثه ، على أن يشمل التطبيق كل فنون البلاغة في جميع أبوابها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر تدرس كل الأساليب العربية التي تحيى على خلاف ظاهر الحال في سياق واحد ، وبالنسية للبيان يدرس الآخر البلاغى والسر الجانلى جميع فنونه في سياق واحد ، حيث تلتقي فنون البيان حول أمرار بلاغية واحدة هي : المبالغة والبيان والإيجاز مع اختلاف تلك الآثار باختلاف الأساليب وبيان المقامات .

وفي البدىع تجمع الفنون التي تلتقي على مر بلاغى واحد ويتم التنسيق بينها مع الإتجاه في ربط الأساليب المعروضة بالاحوال التي ذكرت فيها في درس الجنس والسجع والتصريح ولزوم ما لا يلزم تحت عنوان : التناقض أو التضاد ، والجمع والتفريق والتفسير وال الجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم واللف والنشر والتورية والاستخدام والمشاركة وتأكيد المدح بما يشبه النم وتأكيد النم بما يشبه المدح وتخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وغيرها تحت عنوان : الإيمام أو الخداع – إلى غير ذلك من فنون البلاغة التي يمكن بذلك الجهد وإمعان النظر جمع المتشابه منها على مر جانلى واحد مع التقديم لذلك السر بما يوضح حنته ويبين سر جانله .

ويصل بهذه الطريقةتناول النص بالدراسة البلاغية والتقديرية مرة واحدة لا يدع وجها من وجوه الحسن إلا أشادت به ولا مظهراً من مظاهر القصور إلا نبهت إليه وحدرت منه ، وإذا كان لذلك أثره الواضح في تحويلة النص واستكناه أمراره والنفاذ إلى أغواره فإنه من جهة ثانية يعد علاجا لـ تعانيف البلاغة من تمرق وتشتت ، حيث يتردد

الشاهد الواحد مرات متعددة في قتون البلاغة المختلفة ، بل قد يذكر الشاهد أكثر من مرة في الفن البلاغي الواحد<sup>(١)</sup> .

ولعل ما ذكره « عبد القاهر » عن أسرار الإعجاز البلاغي في قول الله سبحانه : « وقيل يا أرض ابلي مامك ويا سماء أقلي وبغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجود » ، وقيل بعداً للقوم الظالمين ، والذي رددته معظم الآباء من يعاده من أوضح الشواهد على صدق ما نقول<sup>(٢)</sup> .

فإنه في تحليله يقتصر بما يقرر من سمو النظم القرآني وما بين عباراته من تناسق ، وجله من تألف وكثافته من ربط وإحكام ، وقد استعان في تحليله وتقديره بالمصطلحات البلاغية واللغوية ، غير أنها كانت الاستعارة التي جعلت المصطلح في خدمة النص ولم تكون كصنف المتأخرين الذين أولوا المصطلحات الاهتمام الأول فأخذت غاية وهي وسيلة .

وكي لا يبدو كلامنا نظرياً في عمومه ، فإننا تتبعه بتجربة عملية يتحقق في أمر ما ذكرناه ، تحاول فيها التعرف من نقل المصطلحات في تراجمها

(١) د. فتحى فريد : المدخل إلى دراسة البلاغة توزيع مكتبة الهضبة  
البصرية ط أولى ص ٣٣ - ٢٧ .

(٢) عبد القاهر : دلائل الإعجاز ص ٤١، ٤٢، ٤٤ ، وقد صور الزمخشري  
لزهار عذاء البلاغة بما تضمنته الآية من روعة الأسرار البلاغية بقوله :  
ـ لسنا ذكرنا من المعان والنكث استفصح علام البيان هذه الآية  
ـ وقصوا لها رووهم لا لتجانس الكلمتين وما قوله : (ابلي)  
ـ و (اقلي) وذلك وإن كان لا يغلى الكلام من حسن فهو كغير الم��ف  
ـ إليه بإزاء تلك المحسن التي هي المب وما عداها فشور ، الزمخشري الكشاف  
٢/٢٩٨ دار الكتاب العربي بيروت .

وتسكررها وتداخلها، مستخدمنا لها الاستخدام الذي يضمن للدرس البلاغي بلون اهدافه، وذلك كما ذكرنا بدراسة الفنون البلاغية التي يضمها سر بلاغي واحد تخته.

#### الإيهام:

من الأمور التي لا تحتاج إلى توضيح أن كلام البليغ خطيباً كان أو شاعراً أو كاتباً يختلف صورة وتأثيراً عن كلام غيره من حرموا نعمة البلاغة، فليس الخبر الذي يرجيه المتلذذ بالبلوغ كالخبر الذي يرجيه غيره، ولا التهنة التي يقدمها المتشمث البلوغ كالتى يقدمها غيره، ولا الموعظة التي يدل بها الخطيب البلوغ كالتى يقدمها غيره ولا الدرس الذى يؤديه الحاضر البلوغ كالذى يؤديه غيره، ومن أوضاع الحالات التي يتميز بها كلام البلوغ عن كلام غيره ما يشتمل عليه من : إمام إذا اقتضى المقام ذلك الإيهام ،إذ يوهمك أنه يقدم حديث يمدح وي مدح حيث يقدم ليسكون أبلغ تأثيراً في مدحه أو ذمه، بل يوهمك أن الصدق خيال ، والخيال صدق ، وعوما فإنه يجيء بكلامه دائماً من طريق غير مكشوف وسبيل غير مألف ، سالكا سبلة متشعبه وطرقًا خفية لا يوقف على معالمها إلا يتأمل ولا يهتدى إلى دروبها إلا يتدرّب ليكون أقوى تأثيراً ، وإذا كان مثل هذا التصرف وذلك التفنن يلمع في كلام كثير من رزقهم الله قدرنا من الذكاء فإنه يعد كأقلنا سمة من سمات البلاغيين وأقرأ ما يقوله حازم القرطاجي حول ذلك : وإنما يصير القول الساذج مقتضاها وموهباً أنه حق يتمنيات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له ، وتلك التمنيات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والشكك الحائلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الطعنون في شيء ما أنه على غير ما هو عليه بسکرفة ساع المخاطبات في ذلك والتدريب في أحذتها ،<sup>(١)</sup>

(١) حازم القرطاجي : منهاج البلاغة وسراج الأدباء ص : ٦٣ تحقيق د. محمد الحبيب بن الحوزة تونس ١٩٦٦ م

ونعرض فيها على بعض فنون البلاغة في أبواب البلاغة الثلاثة: المطان والبيان والبدىع لتتبين أن «الإيهام» يمثل جاتيا وأضا من حسنة فن موضوعات علم المعانى التي يلاحظ الإيهام فيها، ويشكل قدوة من بلاغتها.

حذف المستند إليه:

فإيهام أحد الأذناع إلى ذكرها البلاغيون لحذف المستند إليه وترجع الحذف له على الذكر، وذلك لإيهام أن في حذفه تطهير آله عن اللسان لعظمة قدره وسمو منزلته كقولك: خاتم الأنبياء — أى محمد ﷺ، أو تطهير آوصونا للسان عنه لدئامة قدره وانخفاض منزلته كقول بعض العرب في ابن عم له موسى سأله إفتحه، وقال: كم أعطيك مال وأنت تنفقه فيما لا يعنك، واقه لا أعطيتك فتركت حتى اجتمع القوم في ناديم وهو فيهم: فشكاه إلى القوم وذهبه فوثب إليه ابن عمه فلطممه، فأنما يقول:

سرريع إلى ابن العم يلطم وجهه  
وليس إلى داعي الندى بسرريع  
حريص على الدنيا مضيع لدينه  
وليس لما في بيته بمضيع<sup>(١)</sup>

أى هو حريص، وتتبين ما أحصدته حذف المستند إليه للسب السابق من بهاء وروعه، وما كان ذلك ليحدث مع ذكره وهذا يقول «عبد القاهر»

(١) الشاهد في قوله: سريع إلى ابن العم .. أى هو سريع، فقد حذف المستند إليه لإيهام صون اللسان عن المخوف مع الاختصار والاحتراز عن العبث، وفي البيت أيضاً: رد العجز على الصدر، عبد الرحمن العبامي معاذ التصصص ٢٤٢ / ٣

(٢) — البلاغة

مصوراً روعة ذلك الحذى : « فتأمل إلآن هذه الآيات كلها واستقرها واحداً واحداً وانظر إلى موقعيها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذى منها ثم قلت النفس عما تجد وألطفت النظر فيها تحسن به ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وإن تخوجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك فإليك تعلم أن الذي قلت كاً قلت وأن رب حذف هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد<sup>(١)</sup> .

حذف المفعول به :

كما يجعل البلاغيون من أغراض حذف مفعول الفعل المتعدي : دفع توهن السامع إرادة غير المراد أول الأمر<sup>(٢)</sup> ، كقول البحترى يدبح أبا الصقر الشيباني :

وكم ذدت عني من تحامل حادث  
وسورة أيام حزرن إلى العظام<sup>(٣)</sup>

فقد حذف مفعول — حزرن — وهو اللحم — لدفع توهن غير المراد  
إذ لو قال : حزرن اللحم — لما زأن بيته إلى العظم ، فترك ذكر ما يده أن  
الحز كان في بعض اللحم ولم ينته إلى العظم ، ويصور ذكر اللحم ليبرىء  
السامع من هذا الوهم ، ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحز مضى في  
اللحم حتى لم يرده إلا العظم وقد صور عبد القاهر روعة ذلك الحذى  
وببلغته يقوله : « أفيكون دليل أوضح من هذا وأبين وأجل في صحة ما ذكرت

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ط ثانية ص ١٠٨

(٢) فالإيام هنا كما في سابقه : عيب ينبعى توقيه والاحتياز منه

(٣) ذدت : أى دفعت — والسوارة : الشدة والصولة ، والتحامل :  
تكليف الأمر الشاق

للك من أفك قد ترى ترك الذكر أوضح من الذكر والامتناع من أن يبرر  
اللفظ من الضمير أحسن للتصوير ؟<sup>(١)</sup>.

تقديم المسند إليه :

كما يجعل البلاغيون الإيمان غرضاً مستقلاً من أغراض تقديم المسند  
إليه وهو : إيمان أنه لا يزول عن الخواطر أو أنه يستند فهو إلى الذكر  
أقرب ، كقول جيل :

بنية ما فيها إذا ما تبصرت  
معابر ولا فيها إذا نسبت أشب

الإيمان في تغريم الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال :

رأينا الإيمان فيما يعني يندو غرضاً مستقلاً<sup>(٢)</sup> ، وقد يمثل قدرًا كبيراً  
من بلاغة الكلام وهو ليس غرضاً مستقلاً كما ترى ذلك في أساليب تغريم  
الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال ، فمن ذلك .

(١) عبد القاهر : دلائل الإعجاز ص : ١٢٢ ط ثانية وعبد المتعال  
الصعيدي : بنية الإيضاح ١ / ٢٢١ ط خامسة

(٢) سواء كان صراحتاً بما يعمل ، على تحصيله ، أو عيماً يحترز منه

### الأسلوب الحكيم :

إذ أن تلقى الخطاب بغير ما يترقب بهم كلامه على غير مراده على أنه الأولى بالقصد أو إيجابة السائل بغير ما يتطلب بتزيل سؤاله منزلة غيره قربيها على أنه الأولى بالقصد<sup>(١)</sup> مبني على الإيمام كقوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البربان تأتو البيوت من ظهورها ولكن البر من أتقى وأنتم البيوت من أبراجها وانقوا الله لعلكم فتلحقون »<sup>(٢)</sup> .

إذ أن أصحاب الرسول ﷺ سأله عن الأهلة لم يجد صغيره ثم تذكر حتى يتكامل نورها ثم تضليل حتي لا ترى ، ولما كانت هذه مسألة من مسائل علم الفلك يحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة صرفهم القرآن عن السؤال عنها بيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في العادات والمعاملات إشارة منه إلى أن الأولى بهم أن يسألوه عن هذا ، وإلى أن البحث في العلوم يجب أن يرجأ قليلا حتى تتوصل الدولة ويستقر أمر الإسلام<sup>(٣)</sup> .

### التعبير عن المستقبل بألفاظ الماضي وعن الماضي بلغط المستقبل :

كما يعتمد التعبير عن المستقبل بألفاظ الماضي للدلالة على تحقق الواقع وأن ما هو للواقع كالواقع على الإمام كقوله تعالى : « ونفع في الصور فصنف من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم فنخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينتظرون »<sup>(٤)</sup> وكذلك التعبير عن الماضي بألفاظ المستقبل

(١) وهو تعريف « الأسلوب الحكيم » . (٢) سورة البقرة : ١٨٩ .

(٣) سعد الدين الفتاوازي : المطول على التخييص : ١٣٦ ط أحمد كامل .

(٤) سورة الزمر – الآية : ٦٨ .

لاستحضار صورته العجيبة لما يدل عليه الفعل المضارع من التجدد آنمايد  
آن كقوله تعالى : « وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرَّبَاحَ فَتَبَرَّ سَحَابًا فَسَقَاهُ إِلَيْهِ يَدَهُ  
مِنْ فَاحِينَا يَهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِ كَذَلِكَ النَّشُورُ » (١) أَيْ فَاتَتْ .

وضع الظاهر موضع المضمر والمحكس :

ويتحقق أثر الإيمام بصفة واحدة في وضع الظاهر موضع المضمر ،  
إذ يتوم الساعي أن هذا الله، أظهر في مقام الإضمار غير الأول، ثم يتبعين  
له بالتأمل والتدارك أنه عين الأول ، وقد جيء به مظهراً حيث كان المقام  
للإضمار لسر بلاغي ، مما يجعله أكثر ثبوتاً وتحفظاً ، وذلك كالمظار في  
مقام الإضمار لزمامه التقرير والتسكين في قوله تعالى : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ  
اللَّهُ الصَّمَدُ » (٢) وقوله سبحانه : « وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نُولِّهُ وَمَا أَرْسَلْنَاكُ  
إِلَّا مُنذِّرًا وَنَذِيرًا » (٣) ، كذلك يبرز دور الإيمام في وضع المضمر موضع  
المظاهر للأعراض البلاغية التي ذكرها منها : أن يتمكن في ذهن الساعي  
ما يعقبه الضمير كقوطمه : هو محمد عالم مكان : الشأن محمد عالم ، فإن الساعي  
متى لم يفهم من الضمير معنى بقى منتبلاً لمعنى الكلام كيف تكون ؟  
لما جبل أقد التفوس عليه من التشوش إلى معرفة ماقصد إيمامه فيتمكن  
السموع بهذه في ذهنه فضل تسكون وذلك هو السر في التزام تقديم ضمير  
الشأن أو القصة (٤) ، قال تعالى : (إِنَّهُ لَا يَفْلُحُ الْكَافِرُونَ) وقال : « فِيهَا  
لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَا تَعْمَلُ الْقُلُوبُ لِتِقْرَبَ إِلَيْهِ الْمُصْدُورُ » (٥) ، ولأن

(١) سورة فاطر — الآية : ٩ .

(٢) سورة الإخلاص الآية ١ ، ٢ .

(٣) سورة الإسراء : ١٠٥ .

(٤) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ٢١٦/٣ ط أولى .

(٥) سورة الحج : ٤٦ .

ما يحصل بعد مقاساة التعب ومعاناه الصلب له في القلب محل ومكانة لا تكون لما يحصل به مؤلة ، وهذا اشترط أن يكون مضمون الجملة شيئاً عظيماً يعني به فلا يقال : هو الذباب يطير<sup>(١)</sup> .

الالتفاتات<sup>(٢)</sup> :

كما يجدوا الإيمام بصورة أكثر وضوحاً في الالتفاتات حيث يتوجه السامع من اختلاف طريقة التكلم من غيبة إلى خطاب ومن خطاب إلى غيبة مثلاً أن المقصود بالحديث قد اختلف ثم بالتحقيق يتبين أن جهة الحديث واحدة وأن الاختلاف تتمثل في نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب تطورية لنشاط السامع ، وإنقاذاً للإضفاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ولأغراض أخرى يقتضيها المقام كأن العدول عن الغيبة إلى الخطاب في قوله سبحانه : «إِنَّكُمْ تَعْبُدُونَ بَلِّيْكُمْ شَتَّىْنِ» ، بعد قوله : «اللَّهُ أَخْدُوكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>(٣)</sup>» الكون أخذه دون العبادة ، حيث إنك تحمد صديقك أو رئيسك ولا تعبده ، فلذلك استعمل لفظ «الله» لتوسيطه مع الغيبة في الخبر فقال : أخذته

(١) سعد الدين التفتازاني : المطول ص : ١٢٨ وعبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح ١٤٧/١ .

(٢) والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة : التسلل والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، وهذا أخص من تفسير السكاكي ، لأن أنه أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها ، فشكل التفاتاتهم مختلف عنده من غير عكس . عبد المتعال الصعيدي : ١٥٢/١ .

(٣) فاتحة الكتاب .

ولم يقل : « ذلك » ، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى العادات قال :  
« إياك نعبد » .<sup>(١)</sup>

#### القصر :

ويظهر أثر الإيمام في القصر عند استخدام طرقه في غير المواقف التي جرت العادة باستهدافها الأسرار بلاغية، وذلك كاستعمال النفي والاستثناء في الأمر المعلوم الذي تزل منزلة المجهولة لا اعتبار مناسب وهو موضوع ليستعمل في الأمور المجهولة أو التي من شأنها أن تكون مجهولة ، فيتوم السامع أول الأمر أن ذلك الذي استعمل فيه النفي والاستثناء أمر مجهول كأصل استعماله ثم يبين له بالتأمل أنه معلوم فیأخذ في البحث عن سر ذلك حتى إذا انتهى إلى السر كان أشد استقراراً بفسكه ثم ينهي بعد تعب و معاناة ، كقوله تعالى : « وما أنت بمسمع من في القبور . إن أنت إلا نذير » .<sup>(٢)</sup> وذلك سر معلوم له عليه الصلاة والسلام لا يحتاج معه إلى تقبيله فضلاً عن تخصيص ، غير أنه عَلَيْهِ الشدة حرمه على هداية الناس كان يكرر دعوه للمتدين عن الإيمان ، فكان في معرض من علم أنه يملك مع صفة الإنذار إبعاد الهدایة في قلوب الممتنعين عن قبول الدعوة ، لهذا قصر على الإنذار قصر أفراد .<sup>(٣)</sup>

#### الفصل والوصل :

يبرز أثر الإيمام كذلك في الفصل والوصل كأمر يتبعى دفعه و خطر يقتضى تجنبه ، فإذا كان عطف الجملة الثانية على الأولى يوم عطفها على

(١) ضياء الدين بن الأثير : الجامع الكبير تحقيق : د . مصطفى جواد  
و د . جميل سعيد ص : ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) سورة فاطر : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) عبد المتمال الصبّدِي : بُنْيَةُ الْإِعْصَابِ ٣٨/٢ ، ٣٩ .

غـيرها قطعت عنها ، وهو ما يسميه البلاغيون : شـهـ كـالـ اـلـفـاعـ وـيـشـهـدـونـ عـلـيـهـ بـقـولـ الشـاعـرـ :

وقطن سلى أني أبى بها بدلاً أراها في الضلال تـيمـ

فـلمـ يـعـطـفـ فـيـ جـلـةـ : أـرـاـهـ عـلـىـ جـلـةـ وـقـطـنـ سـلـىـ مـعـ وـجـودـ النـاسـ  
يـنـهـاـ فـيـ الـمـسـتـدـ إـلـيـهـ حـيـثـ إـنـهـ فـيـ الـأـوـلـ عـبـوبـ وـفـيـ الثـانـيـةـ عـبـ، وـفـيـ  
الـمـسـتـدـ كـذـلـكـ إـذـأـنـ مـعـيـ : أـرـاـهـ : أـظـاهـاـهـ لـثـلـاـ يـتوـهمـ أـنـ العـطـفـ عـلـىـ جـلـةـ:  
أـبـىـ لـقـرـبـهـ، فـيـكـوـنـ عـاـنـهـ سـلـىـ وـلـيـسـ كـذـلـكـ(١)ـ .

وـإـذـاـكـانـ بـيـنـ الـجـمـلـتـيـنـ كـالـ اـلـفـاعـ معـ الـإـيـامـ بـأـنـ تـكـوـنـ إـحـدـاـهـاـ  
خـبـرـيـةـ وـالـأـخـرـيـ إـنـشـائـيـةـ وـرـتـكـ العـطـفـ بـيـنـهـاـ يـوـمـ خـلـافـ اـنـقـصـودـ وـجـبـ  
الـوـصـلـ دـفـعـاـ لـذـلـكـ الـإـيـامـ كـفـوـكـ : لـاـ : وـبـارـكـ اللـهـ فـيـكـ مـنـ قـالـ لـكـ : أـلـكـ  
حـاجـةـ أـسـاعـدـكـ فـيـ قـضـائـهـ؟

فـلـاـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ قـائـمـ مـقـامـ جـلـةـ خـبـرـيـةـ، إـذـ التـقـدـيرـ : لـاحـاجـةـ لـيـ،  
وـجـلـةـ : بـارـكـ اللـهـ فـيـكـ، جـلـةـ إـنـشـائـيـةـ مـعـيـ خـبـرـيـةـ لـفـظـاـ، وـالـعـبـرـةـ بـالـمـفـنىـ.

وـلـوـ قـصـلـتـ بـيـنـ الـجـمـلـتـيـنـ فـقـلـتـ : لـابـارـكـ اللـهـ فـيـكـ - لـوـهـمـ السـاعـمـ  
أـنـكـ تـدـعـوـ عـلـيـهـ، فـيـ حـيـنـ أـنـكـ تـقـصـدـ الدـعـاءـ لـهـ، لـذـلـكـ وـجـبـ الـعـدـولـ عـنـ  
الـقـصـلـ إـلـىـ الـوـصـلـ وـيـطـلـقـ عـلـمـ الـبـلـاغـةـ عـلـىـ ذـلـكـ: كـالـ اـلـفـاعـ معـ الـإـيـامـ(٢).

الإطراب :

ويـظـهـرـ أـنـ الـإـيـامـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ وـجـوهـ الـإـطـنـاتـ، كـذـكـرـ الـخـاصـ بـعـدـ

(١) عبد الرحمن العيامي : معاهد التصحيح ١/٢٨٠ و سعيد الدين النقاشاني : المطول ص ٢٥٧ ط : أحمد كامل

(٢) د. درويش الجندي - علم المعانى، دار نهضة مصر ص: ٢٠١٤٣٠٠

العام للتبليغ على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تزييلاً للتغيير في الوصف منزلة التغيير في الذات كقوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن الشكرا وأولئك هم المفلحون »<sup>(١)</sup> فيتوفهم من تخصيص الأمر بالمعروف والتي عن الشكرا بالذكر بعد الدعوة إلى الخير أنها ليست من الدعوة إلى الخير وبالتأمل يتضح أنها داخلة في عموم الدعوة إلى الخير وقد خصت بالذكر للسبب السابق فينداد الاهتمام بها .

ويظهر أثر الإيمام في الأخطاب بصورة أكثر وضوحاً في التكثير حيث يتوجه أهل الإيمان في الأخطاب بـ « اللهم إني أسألك العافية في اللطف لآمنا بـ « العافية منها » تعدد المتعلق كقوله تعالى : « قل يا آلام ربنا تكذبان ، مذكرة أكثر من مرة في سورة الرحمن ، لأن الله سبحانه عد لها كثيرة وعقب كل نعمة بهذا القول ، ومعلوم أن الغرض من ذكره عقب نعمة غير الفرض من ذكره عقب نعمة أخرى ، وقد يتوجه أنه ولـ « ما ليس نعمة كقوله تعالى : « يرسل عليك شواطئ من نار وتحاس فلا تنتصران »<sup>(٢)</sup> وقوله : « هذه جهنم التي يكذب بها مجرمون يظفرون بيـها وبين حـيم آن »<sup>(٣)</sup> لكن هذا التوجه سرعان ما يزول إذا مـاعـرف أن العـذـاب وجـهـنـمـ وإن لم يكونـا من آلامـهـ تعالىـ فإنـ ذـكـرـهـاـ وـوـضـعـمـهاـ عـلـىـ طـرـيقـ الزـجـ عـنـ الـمـعـاصـيـ وـالـرـغـيـبـ فـيـ الـطـاعـاتـ مـنـ آـلـاـمـهـ تـعـالـىـ ، أوـ كـيـاـ يـقـولـ الخطـابـيـ : « إـنـ نـعـمـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـهاـ أـنـذـرـ بـهـ وـحـدـرـ مـنـ عـقـوـبـاتـهـ عـلـىـ مـعـاصـيـهـ »

(١) سورة آل عمران : ١٠٥ .

(٢) سورة الرحمن : ٣٥ .

(٣) سورة الرحمن : ٤٣ ، ٤٤ .

ليحذروها فيرتدعوا عنها يازاء نعمه على موعد ويشر من ثوابه على طاعته  
ليرغبوا فيها ويحرسوا عليها<sup>(١)</sup>.

#### وضع الخبر موضع الإنعام والمحك

وهذا درس من دروس علم المعانى يعتمد على الإيجام إلى حد كبير حيث تستعمل الأسلوب على غير الممدود والمتبوع في استعمالها لأسرار بلاغية فيظنها القارئ مستعملة في جهازاً المعروف ثم يتبين له بالتأمل أنها قد استعملت في غير سياقها المعهود لسر مراد وهدف مقصود فتكون أحسن وقعاً وأكثر قبولاً، من ذلك إخلاق الخبر على الطلب أمرأ أو نبأ أو دعاء مبالغة في الحديث عليه حتى كأنه وقع وأخبر عنه، أو كما قال الرمخشى: أنه أبلغ من صرخ الأمر أو النهى كأنه سورع فيه إلى الامتثال وأخبر عنه نحو: (والوالدات) [يرضعن ..] <sup>(٢)</sup> أي، ليرضعن — قوله تعالى أوصى: (وما تتفقون ل إلا ابتلاء وجه الله ..) <sup>(٣)</sup> أي لا تتفقوا إلا ابتلاء وجه الله — قوله: (لا يمسه إلا المطهرون) <sup>(٤)</sup> أي لا يمسه <sup>(٥)</sup>.

كما يتضح الإيجام مع جميع الأغراض التي ذكرها البلاشيون لوضع الخبر موضع الإنعام، عدا ما قدم، كالنقاول وإظهار الرغبة في حدوث

(١) المحتوى: بيان إيجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إيجاز القرآن  
ص: ٤٧ ، ٤٨ تحقيق: محمد خلف الله ود. زغابول سلام.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٣ .

(٣) سورة البقرة: ٢٧٢ .

(٤) سورة الروم: ٧٩ .

(٥) السيوطي: الانقسام في علوم القرآن ٣/١١٩ ط أولى تحقيق:  
محمد أبو الفضل إبراهيم .

الشيء والاحتراز عن صورة الأمر التي تشعر بالاستعلاء المنافي للأدب ،  
وحل المخاطب على المطلوب وغيره<sup>(١)</sup> .

كذلك يدرك أثر الإيمام في وضع الإنماء موضع الخبر للأدراصن  
المتعددة التي كان منها : الاحتراز عن مساواه اللاحق بالسابق كقوله تعالى :  
«قال أى أشهد الله وأشهدوا أى بره ما تشركون من دوته فكيدوني جيماً  
ثُم لا تغارون»<sup>(٢)</sup> فلم يقل : « وأشهدكم ، بالإخبار ، تخاشيا وفرارا من  
مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى »<sup>(٣)</sup> .

فذلك نماذج من علم المعانى يغفل الإمام قدرا من بلاغتها ، وقد يدا فى  
بعضها غرضاً مستقلاً يوفر المحسن ، كما يدا فى بعضها الآخر غرضاً مستقلاً  
يخترق منه ، وفي بعضها الثالث رأينا وجهها من وجوه التصرف وسيلا  
من سبل التقىن في الكلام ، فلننتقل بعد إلى وجوه البيان لتفصيل أثر  
الإيمام فيها .

(١) د . درويش الجندى : علم المعانى ص : ٦٠ ، ٦١ دار نهضة مصر .

(٢) سورة هود : ٥٤

(٣) وقد فسر الزمخشري العدول عن صيغة الخبر إلى صيغة الأمر في  
الإشهاد بأنه للهوا بهم وقلة المبالغة بأمرهم وقال : « فإن قلت : هل قبل :  
أى أشهد الله وأشهدكم ؟ قلت : لأن إشهاد الله على البرامة من الشرك لشهادة  
صحيح ثابت في معنى ثبوت التوحيد وشد معاقدة ، وأما إشهادهم فما هو إلا  
تهاون بيدهم ودلالة على قلة المبالغة بهم فحسب . فعدل به عن لفظ  
الأول لا خلاف ما بينهما ، وجراه به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول  
الرجل لمن ي sis القرى بيته وبيته : أشهد على أى لا أحبك – تيكما به  
واسئلة بحاله » كما فسر ابن المنير ، هذا العدول من الخبر إلى الأمر ب مثل  
ما ذكره البلاغيون من أنه للتمييز بين خطابة الله تعالى وخطابه لهم ، =

التشبيه:

قد يجد الإيهام في التشبيه غرضاً غير مستقل ، وسيلة من سبل التفتن في إبداعه والتصرف في حسته وجهاته وتلبيح ذلك في التشبيه المخنوف الوجه والأداة لايهم أن الكلام مستعمل على وجهه الفاهم وأن حديث التشبيه لم يجر على بال ولم يطف بخيال كقول الشاعر :

والريح تبعث بالغصون وقد جرى  
ذهب الأصيل على جبين الماء

يأضاف المشبه به إلى المشبه في كل أثر، أصيل كالذهب وماء كاللجن فإذا أضاف المشبه به إلى المشبه في كل مع حذف الوجه والأداة قلت من عملية إشارة التي هي في الأصل الحاق للأدنى بالأعلى والنافض بالسكون وأوهمت أن الأصيل فعلاً ذهب وإنما فضة لما هو معروف من أن المضاف والمضاف إزاء كالشيء الواحد ، ولما كان هذا النوع من التشبيه يحتاج إلى تأمل في فهمه وتدبر في الوقوف عليه أطلق عليه بعض علماء البلاغة التشبيه البليغ من البلاغة بمعنى القطف والحسن لا من البلاغة بمعنى المطابقة لمعنى الحال ، لأن التشبيه لا يتفاوت هذا التفاوت من تلك الناحية ، ولأن الشيء إذا نزل بعد الدليل له والاشتياق إليه كان فيه أحلى وموقهعه من انفس أطفاله وبالمسره أولى (١) .

== إذ عور عن خطاب الله تعالى بحقيقة الخبر التي هي أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر . الرخشري : الكشاف ٢ / ٤٠٣ وإبر المثير : الانتصار ٢ / ٤٠٣

(١) عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح ٣ / ٧٢

كما يجدوا الإيمان غرضاً غير مستقل ووجهها من وجوه التصرف في حسنه فيما يعرف بالتشبيه الضمني ، الذي تم عملية التشبيه فيه على غير السبيل المألوفة في التشبيه من ذكر المأرفين والوجه والأدلة أو الافتراض ببعضها مما يتحقق المشابهة ، ولكن يلح التشبيه من سياق الكلام ويفهم من مضمونه ) كقول الشاعر :

فليتْ تَفَقَّدِ الْأَنَامْ وَأَنْتَ مِنْهُمْ  
فَإِنَّ الْمُسْكَنَ بَعْضَ دَمِ الْغَرَالِ

إذ بني حكمه في الشطر الأول من البيت على أن المندوح أصل برأسه وفرد يشار إليه بالبنان [١] ولا يوجد في الناس من يعاتله على الرغم من كونه واحداً من جنسمهم ، ولما كان في هذا الحكم شيء من الاستغراب أقى بالشطر الثاني ليكون كالمدخل على حجة الحكم الذي قضمته الشطر الأول وهو أن المسك يدعى أشرف شيء في جسم الغزال وهو منه فكان هذا التشبيه الضمني دليلاً على ما قرره الشاعر من أن الفرع قد يفوق أصله ، وقد فهم من مضمون الكلام فكان التشبيه فيه ضمنياً ، وقدرأيت وجه الإيمان فيه .

وتحت الإيمان [٢] غرضاً مستقلاً في التشبيه أيضاً ، في التشبيه المقلوب أو المكسوس وهو الذي يحمل فيه المشبه مشبهًا به والمتشبه به مشبه بالإيمان أن المشبه به أئم من المشبه في وجه الشبه كقول محمد بن وهب الحميري من قصيدة يمدح بها المؤمنون :

وَبِدَا الصَّبَاحُ كَانَ غَرَّهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يَمْتَدِحُ (١)

(١) الغرة في الأصل: البياض في جهة الفرس ، وقد استعيرت لبيان الصبح ، وفي قوله : « حين يمتحن » دلالة على اتصاف المندوح بمعرفة حق النادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالإسناد إليه والإرجاع له ، وهل =

فقد جعل الصباح وهو أصل في المجال مشبهاً ووجه الخليفة عند دماغ المدحع مشبهاً به لإيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء، ومنه قوله تعالى حكایة عن مستحب الربا : (إِنَّمَا الْبَيْعَ مِثْلُ الرِّبَا . . .) (١) فإن مقتضى الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع - إذ الكلام في الربا لا في البيع ، خالقوا لجتهم الربا في الحال أقوى حالاً من البيع وأعرف به (٢) .

ويقول الزمخشري : جيء به على طريق المبالغة ، وهو أنه قد يبلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحال حتى شبهوا به البيع (٣) .

ولأحمد بن المنير صاحب الاتصال في الكشاف تعليق على التشبيه في الآية يبدو مقبولاً حيث يتحقق المعنى الساقط بدون أن يكون هناك إيهام بقلب التشبيه أو عكسه إذ يقول : «إنه متى كان المطلوب التسوية بين الحلين في ثبوت الحكم فلما قال أن يسوى بينهما طرداً فيقول مثلاً : الربا : مثل البيع وغرضه من ذلك أن يقول : والبيع حلال فالربا حلال وله أن يسوى بينهما في الكس ف يقول : البيع مثل الربا ، فلو كان الربا حراماً كان البيع حراماً ضرورة المائلة ، ونتيجته التي دلت قوة الكلام عليها أن يقول : وما كان البيع حلالاً إتفاقاً غير حرام وجب أن يكون الربا مثله ،

== كونه كاملاً في الكرم ، يتصف بالبشر والطلاقة عند استئناع المدحع —  
عبد الرحيم العباسى : معاهد التصحيح ٥٩/٢ ، وسعد الدين التفتازانى :  
المطول : ٣٣٤

(١) سورة البقرة : ٢٧٥

(٢) عبد المتعال الصميدي : بغية الإيضاح ٤٣/٣ ، ٤٤ ط خامسة .

(٣) الزمخشري : الكشاف : ٣٢١ ، ٣٢٠/١ .

والأول على طريقة قياس الطرد ، والثاني على طريقة قياس العكس وما لها إلى مقصد واحد فلا حاجة على هذا التقرير إلى خروج عن الظاهر لعدم المبالغة أو غيره ، وليس الفرض من هنا كله إلا بيان هذا الذي تخلوه عن أعمدة النظم الصحيح وإن كان قياساً فاسداً الوضع لا استعماله على مناقضة المعلوم من حكم الله أيضاً في تحريم الربا وتحليل البيع وقطع القیاس بینها .. فهذا التوجيه أولى أن تحمل الآية عليه ، (١) .

فترى أن الإيمام كان واضح الآخر في التشبيه سواء كان غرضاً مستقلاً أو وجهاً من وجوه التصرف في مجال التشبيه وإبداعه ، وأنه في كل قد زاد التشبيه علواً وأكبه بعداً وغرابة ، بحيث لا يدرك إلا المروون ولا يفطن لروعته إلا المبتدون .

المجاز :

ويعتمد الآخر البلاغي للمجاز إلى حد كبير على الإيمام ، أو يشكل الإيمام جانباً هاماً من الأسرار البلاغية للمجاز لما يتوجه أول الأمر من أن الكلام على ظاهره ومستعمل في معناه الحقيقي ، ثم يتبعه بالتأمل والتدقيق أن له معانٍ خفية ، فيؤدي ذلك التأمل في معرفة هذه المعانٍ والوصول إليها إلى ثبوتها وتقريرها على وجه أقوى ، وترى ذلك في المجاز بأنواعه : عقلياً ولغرياً كقول أبي الطيب المتنبي :

وتحى له للصال الصوارم والقتنا  
ويقتل ما تحى التسم والجدا (٢)

(١) ابن المني : الانتصاف على الكشاف ٣٢٠ / ٣٢١

(٢) الجدا : العمال .

فقد استدَّ زِيادةُ المَالِ وَوْفَرَتْهُ السِّيوفُ الصَّارِمةُ ، وَتَوزِيعُهُ عَلَى  
الْأَمْوَالِ وَالْمُحَاكِيْنَ لِلتَّبِيْسِ وَالْعَطَاءِ ، مَعَ أَنَّ الْفَعْلَ لَا يَصْحُ وَقَوْعَهُ مِنْهَا  
أَيْ : السِّيُوفُ وَالْعَطَاءُ لِأَنَّهُمَا سَبَبَانُ ، قَادِمُ الْإِسْتَادِ إِلَيْهِمَا فِي الظَّاهِرِ أَهْمَانِ  
الْفَاعِلَانِ الْحَقِيقَيْانِ ، ثُمَّ تَبَيَّنَ بِالتَّأْمِيلِ أَنَّهُمَا لَيْسَا الْفَاعِلَيْنِ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَأَنَّهُمَا  
سَبَبُ فِي الْفَاعِلِ الْحَقِيقَ ، وَلَكِنْ يَبْيَنُ الشَّاعِرُ قِيمَةَ ذَلِكَ السَّبَبِ وَمَدْخِلِهِ  
فِي تَحْقِيقِ الْفَعْلِ أَسْتَدَّ الْفَعْلَ إِلَيْهِ لِيَحْقِقَ بِتَصْرِيفِهِ هَذَا إِلَيْهِ اِلْتِبَارِ فِي التَّعْبِيرِ ،  
وَتَوْضِيحِ الْمَعْنَى الْمَرَادِ وَتَقْرِيرِهِ ، وَالْمَبَالَةُ فِي قِيمَةِ ذَلِكَ السَّبَبِ وَمَدْعِيَّهُ  
أَهْمَيَّتِهِ بِالنِّسْبَةِ لِلْفَاعِلِ الْحَقِيقَ ، وَقَدْ زَادَ التَّعْبِيرُ جَمَالًا بَعْدَ أَنْ أَخْذَ إِلَى  
ذَلِكَ التَّفَنُّ تَفَنِّنًا آخَرَ تَمْثِيلَ فِي التَّجَزُّوِ الْأَغْرِيِّ عَلَى سُبُّولِ الْاِسْتِعْمَارِ  
الْتَّصْرِيْحَيَّةِ التَّبَعِيَّةِ فِي كُلِّ مَنْ : تَحْسِيْ وَيَقْتَلُ لِيَجْعَلْ زِيادةَ الْمَالِ وَكَثْرَتِهِ إِلَيْهِ  
وَتَقْرِيرِهِ وَتَوزِيعِهِ قَنْلا .

#### الْكَنَاتِيَّةُ :

كَيْمَلُ الْأَيْهَامِ عَنْصِرًا هَامًا مِنْ أَسْرَارِ بِلَاغَةِ الْكَنَاتِيَّةِ : إِذَ أَنَّهَا النَّفَذُ  
الْمُسْتَهْمِلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لِعَلَاقَةٍ مَعَ قَرْبَيْهِ لَا تَمْنَعُ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى  
الْأَصْلِيِّ ، وَيَرْتَدُ السَّامِعُ أَوْلَى الْأَسْرِ فِي تَحْدِيدِ الْمَعْنَى الْمَرَادِ حَتَّى يَقْفَضَ عَلَيْهِ  
بِالْقُرْآنِ ؛ مَا يَجْعَلُهُ يَمْلِئُ مِنَ الْقَبُولِ وَالتَّقْدِيرِ بِجَمِيْهِ بَعْدَ تَعْبٍ وَتَأْمِيلٍ ،  
وَيَتَحَقَّقُ هَذَا فِي كُلِّ أَنْوَاعِ الْكَنَاتِيَّةِ ، فَالشَّفَرِيُّ حِينَ يَقُولُ فِي وَصْفِ  
إِمْرَأَ بِالْعَفَّةِ بِاسْلَوبِ الْكَنَاتِيَّةِ عَنْ نَسْبَةِ :

بِبَيْتِ بِمَجَاهَةِ مِنَ اللَّوْمِ بِيَتِهِ إِذَا مَا بَيْتَ بِالْمَلَامَةِ حَلَّ

يَتَوَمَّ مِنْهُ أَوْلُ الْأَمْرِ أَنَّ الْمَرَادَ فِي اللَّوْمِ عَنْ بِيَتِهِ ، ثُمَّ يَتَبَيَّنُ بِالتَّأْمِيلِ  
وَالتَّدِيرِ أَنَّ الْمَقْصُودُ هُوَ : فِي اللَّوْمِ عَنْهَا عَلَى أَيْلَغِ وَجْهِ ، حِيثُ أَنَّ اللَّوْمَ  
إِذَا نَفَّ عَنْ بَيْتِ قِيمَتِهِ إِسْتَلِمَ فِيهِ عَنْهَا ، فَكَانَ أَقْوَى مِنْ نَفَّ اللَّوْمِ

عنها؛ لأنَّه بهذه الصورة أضحي كالدعوى بالبيئة والدليـل ، وقد زاد «الشـفـرى» الـكـنـاـيـةـ السـابـقـةـ دـةـ وجـالـاـ إـذـ عـبـرـ «ـ بـيـتـ» دون «ـ يـقـلـ» لمزيد اختصاص الليل بالفجور والآثـامـ<sup>(١)</sup> .

التعريض :

ويظهر أثر الإيمام في التعريض وهو: المفـعـلـ الـخـاصـلـ عـنـ اللـفـظـ لـأـهـ كـوـلـهـ تـعـالـ : «ـ قـالـواـ أـلـلـاتـ فـعـلـتـ هـذـاـ بـأـلـهـتـنـاـ يـاـ إـبـرـاهـيمـ قـالـ بـلـ فـعـلـ كـبـيرـهـ هـذـاـ فـأـسـأـلـوـمـ إـنـ كـانـواـ يـنـطـلـقـونـ»<sup>(٢)</sup> ، إـذـ يـتـوـمـ أـلـأـمـ أـنـ لـيـسـنـ دـلـيـلـ إـلـيـهـ السـلـامـ تـكـسـبـ الـأـسـنـامـ إـلـىـ أـكـبـرـهـ عـلـىـ حـقـيقـتـهـ ، ثـمـ يـتـبـينـ أـنـ يـقـصـدـ تـاكـيدـ جـهـلـهـ [ـ وـ ضـعـفـ عـقـولـهـ]ـ حـيـثـ يـعـدـونـ أـسـنـامـ لـأـنـ سـمعـ وـلـاـ تـبـصـرـ وـلـاـ تـنـفـخـ ، وـ كـانـهـ يـرـيدـ أـنـ يـقـولـ طـمـ : كـيـفـ تـعـبـدـونـ مـاـ لـيـحـبـ لـأـنـ سـئـلـ ، وـ تـجـمـلـونـ شـرـيكـاـ لـأـنـ لـهـ الـخـلـقـ وـ الـأـمـ؟ـ وـ وـاضـحـ أـنـ الـاستـقـامـ فـيـهـ لـتـقـرـيرـ بـالـفـاعـلـ لـأـنـ لـأـلـفـعـلـ ، إـذـ أـنـهـ يـعـلـمـ أـنـ الـذـيـ كـسـرـ الـأـسـنـامـ وـ يـطـلـبـونـ مـنـهـ إـلـيـقـارـ بـذـلـكـ ، وـ الـفـعـلـ وـ هـوـ التـكـسـبـ ظـاهـرـ وـ مـوـجـودـ بـدـلـيـلـ الـإـشـارـةـ إـلـيـهـ ، وـ فـيـ نـسـبـةـ الـفـعـلـ إـلـىـ كـبـيرـ الـأـسـنـامـ إـشـارـةـ إـلـىـ أـنـ التـقـرـيرـ لـلـفـاعـلـ وـ لـوـ كـانـ لـلـفـعـلـ لـقـالـ : فـعـلـ أـوـ لـمـ أـفـعـلـ .

قدـرـكـ مـنـ ذـلـكـ أـثـرـ الإـيمـامـ فـنـونـ الـبـيـانـ ، وـ نـفـرـضـ إـذـاـ لـأـثـارـ فـ بـعـضـ فـنـونـ الـبـيـدـيـعـ .

(١) دـ. أـمـدـ موـمـىـ : الـبـلـاغـةـ التـطـبـيقـةـ صـ ٤٤٤ـ طـ أـوـلـىـ .

(٢) سـوـرـةـ الـأـنـيـاءـ : ٦٢ـ ، ٦٣ـ

إيهام التضاد :

هو نوع من الصلاق ونرى الإيهام فيه يبدو غرضاً مستقلاً كما يشير إلى ذلك عنوانه، وقد قيل في تعريفه : إنه الجُمُع بين معينين غير متناسفين عندهما يلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان، وأوّله يشتمل في زيادة التأمل والنظر بما يزيد المعانى ثباتاً ورسوخاً، وذلك كقول دعبدل :

لا تعجب يا سلم من رجل حمل المشيب برأسه فبكى

إذ يتوجه أن في البيت تضاداً أو طابفاً بين حملك وبكي، ثم يظهر بالتأمل أنه لا يوجد تقابل في الحقيقة، وإن أوم الفاجر ذلك، لأن الشخص يقصد به كثرة الشيب وظهوره على سبيل الاستعارة التصريحية التعبوية وهو من هذه الجهة لا يضاد البكاء، وإن بدا أنه ينافقه في ظاهر الأمر، ولذا سمى : إيهام التضاد (١) .

التورية :

والإيهام في التورية يبدو أكثر من غرض مستقل، أو سبيل من سبل التغافل في الكلام والتصرف في حسنه إذ أن التورية تجعل الإيهام بكل خصائصه، حيث إن الإيهام هو سلوك الطرق الخفية للوصول إلى تأكيد الأغراض المقصودة، وهو المعنى الذي تقوم عليه التورية إذ أنها : لفظ له معنيان قريبان غير مراد وبعيد مراد بقرينة خفية توضح أن المراد هو البعيد، كقول نصير الدين الحلبي (٢) :

(١) عبد الرحيم العيامي: معاهد التنصيص ١٨٤/٢ وعبدالمتعال الصعيدي:  
يشبة الإيضاح ١٢/٤ .

(٢) شاعر مصرى كان يحترف باكتهان الحمامات ، مات سنة ٧١٢ .

أبيات شعرك كالقصور رولا قصور يا يعوق<sup>(١)</sup>  
ومن العجائب لفظها حسر وعفافها رقيق  
فكلمة رقيق لها معنیان : الأول قريب متبادر وهو العبد المملوك  
وبسبب تبادره إلى الذهن ما سبقه من لفظ : حسر ، والثاني بعيد وهو  
الطيف البهل وهو الذي يريده الشاعر وقد ستره المعنى القريب<sup>(٢)</sup> فالإيام  
أظهر ما يكون في التورية ، ولذا حفظا بعض البلاغيين : التورية أو الإيام ،  
وقد سبق أن ذكرنا أن الإيام من مسارات البلاغيين وسبيل من سبل التفنن  
والتصريف في الأساليب ، ويؤكّد ذا أن البلاغيين ختموا كلامهم عن  
التورية بـأن التorum إذا اشتدى استحکامه بحيث لا يدرك عدم إرادته المعنى  
القريب إلا بتأمل وطول نغار كان أكثر بلاغه لما يستوجه ذلك من  
فكراً ذاً وتأملاً طويلاً ، كقول الشاعر :

حلئاهم طرأ على الدهم بعدما خلعننا عليهم بالغمان ملابسا

فالدهم جمع أدهم ومعناه القريب : الفرس الأسود ، ومعناه البعيد :  
القيد من الحديد وهو ثمار بقرية ما ذكره من خلع الدمام عليهم بالطعن  
حتى صارت لهم كمللابس ، لأنّه لا يصح مع هذا أن يكون المراد حلئهم  
على الأفراس ، والشاهد في أنّ قوله : حلئاهم يفيد استحکام التorum في  
البيت حتى لا يدرك عدم إرادته المعنى القريب إلا بتأمل وطول نغار<sup>(٣)</sup> .

فالتورى إذا كان الإيام يدو فيها واضحًا حتى أطلق عليها بعض البلاغيين :  
الإيام ، فينما من جهة أخرى توضح ما يحدّثه تعدد الألقاب من ليس

(١) يعوق : أي يمنع من ادرائكم جمالها .

(٢) على الماء ، ومصطفى أمين - البلاغة الواضحة ص: ٢٧٦: ط: ١٧ .

(٣) عبد المتعال الصعيدي : بقية الإيضاح ٤/٢٩ .

واضطراب وبدون ما فائدة ، إذ وضع لها أكثر من لقب ، وأطلق عليها البلاغيون عناوين متعددة منها : التورية والإيمان والكتابية والتعريف والإلقاء والأحجية والتخيل<sup>(٢)</sup> وذلك لا يحقق الهدف البلاغي بقدر ما يؤدي إلى البلبلة والاضطراب .

المشاكلة :

ويظهر الإيمام بوضوح كذلك في المشاكلاة إذ أنها : ذكر الشيء بالفظ غيره لوقعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرآ<sup>(٣)</sup> ، إذ يتوجه الساعي أن المفظ الثاني عين الأول فيظهر له بالتأمل أنه غيره الأمر الذي يمكنه من نفسه ، وذلك كقول الله تعالى : « وجزاء سيئة مثلها فلن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب للظالمين »<sup>(٤)</sup> .

فلا يدرك أن السيئة الثانية يراد بها الجزاء وأنها غير الأولى إلا بعد تأمل وتقدير ، وقد عبر عن الجزاء بالفظ السيئة وباللغة في شدته وإعجازها في التعبير .

الاستخدام :

وقد عرفه الخطيب القرويبي بأن يراد بالمنظ له معياناً أحدهما وبضميره معناه الآخر ، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما وبالآخر الآخر<sup>(٥)</sup> . ويبدو

(١) يحيى العلوى : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حفاظ الإلقاء ٣/٢ ، ومن ص : ٦٢ - ٦٧ ط المتنصف القاهرة ١٩١٤

(٢) عبد المتعال الصعیدی : بغية الإيضاح ٤/٢٣

(٣) سورة الشورى : ٤٠

(٤) عبد المتعال الصعیدی : بغية الإيضاح ٤/٣٣

الإيمام فيه واضحًا كما ترى إذ يتوم أنضمmer يعود على اللفظ المذكور ، وبالتدبر يظهر أنه يعود إلى معنى آخر للفظ فيؤدي ذلك إلى مزيد من التأمل والتبر و لهذا كقول الشاعر :

لَا زَوْلَ السَّيَاهَ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَصَابًا

فقد أراد بالسَّيَاهَ الفيت على سيل المجاز المرسل لعلة المخاورة، وأراد بالضمير « رعیناهُ البَيْتَ » الذي يتمشى على الفيت على سيل المجاز المرسل أيضًا لعلة السبيبة والقريبة التي حددت المعنى المراد وصرفت رجوع الضمير إلى لفظ : السَّيَاهَ — أن الرعي لا يكون للباء وإنما يكون للبيت .

التفسير :

وهو فن بديهي لم يذكره الخطيب القزويني، ويدو الإيمام فيه واضحًا، بل إنه يعتمد على الإيمام ويعقل الإمام قسطًا وأفرا من بلاغته ، ودرك هذا من تعريف البلاغيين والأدباء له ومن الشواهد التي استشهدوا به عليه، وقد سماه « أبو هلال العسكري » : التلطف بمعنى : أن يتلطف للمعنى الحسن حتى يجهنه وللمعنى الهمجي حتى يحيشه (١) .

(١) أبو هلال العسكري : الصناعتين ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، وقد ذكر منه العسكري نوعاً آخر سماه : مدح المندوم وذم المحمود — وهو أن يتحج لل محمود حتى يصيده في صورة المندوم ، وأنه يحتاج للمندوم حتى يخرجه في معرض المحمود — ومثل له يقول عبد الملك بن صالح في ذم المشورة وهي ممدودة بكل لسان : ما استشرت أحداً إلا تكبر على وتصاغرت له ، ودخلته العزة ودخلتني الذلة، فعليك بالاستبداد فإن صاحبه جليل، في العيون مهيب في الصدور، وإذا افتقرت إلى المقول حقرتك العيون ، فتضضضن =

ومن ذلك قول علي كرم الله وجهه في مدح الدنيا مغایر الامثال في ذمها من خطبة له : «إن الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار موعظة لمن اعدها ، مسجد أجياب الله ، ومصلى ملاستكه ، ومحيط وحي الله ، ومتجر أوليائه ، اكتسبوا منها الرحمة ، وربعوا منها الجنة » (١) .

فتوى من تعريف هذا اللون والتشيل عليه أن الإيمان كذا كرنا بعد سرا من أسرار بلاغته ، إذ أنه يجيء على خلاف الطريق المألوف في المدح والذم كأن يبني عن ذلك عوراته بما يجعله مثيراً للشاعر ولافتاتاً للأذكار مما جعله سبيلاً من سبل بروز الشعراء والأدباء ، فقد قيل للأصمى : من أشر الناس ؟ قال : الله يجعل المعنى الخبيث بلطفه كبيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله بلطفه خسيساً ، كما قالوا : حسن البلاغة : أن يصور الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق (٢) .

#### تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح :

ويقرب من التغاير في وضوح أثر الإيمان فيه الفن البديعي الذي يعرف بتاكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح — حيث تسلك سبيلاً للدح يتوجه منه أنفك تذم ، وسبيلاً للذم يوم أنك تقصد المدح ،

ـ شآنك، ورجفت بك أركانك، واستحررك الصغير، واستخف بك الكبير،  
ـ وما عن سلطان لم يفنه عقله عن عقول وزرائه وآراء فصحائه — المرجع  
السابق ص : ٥٩ فلا يجد فرقاً بين اللونين وقد جعلهما أبو هلال العسكري،  
موقعين كاتري .

(١) على الجنهى : البلاغة الفنية : ١٠٦ - ١١٧ ط ثانية .

(٢) ابن رشيق : العدة ٤٦/٢ ، ٦٥/١ - ٥٠ ط أول .

فيكون ذلك أبلغ لمحرك وأقوى لنعك ، فشل الأول قول  
النابقة للذياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم  
يهلل من قرائع الكتاب<sup>(١)</sup>

أى لا عيب فيهم لا الشجاعة إن كانت الشجاعة عينا ، وكون الشجاعة  
عيانا ، فيكون ثبوت العيب لهم محالا .

ومثال الثاني قول الشاعر :

فإن من لامني لا خير فيه سوى وصفني له بأحسن الناس كلام  
أى لا خير فيه سوى الأخسيه إن كانت خيرا وكون الأخسيه خيرا  
محال ، فيكون ثبوت العيب لهم محالا .

فوري، أن بلاغة هذا الون تتمثل فيها يشتمل عليه من إيجام حيث يجيء  
على غير الطريق المألوف والسبيل الممود ، ولذلك قيل في سر بلاغته:  
أنه كدعاوى، الشيء ببينة ودليل وإن الأصل في الاستفهام أن يكون متصلة  
فإذا فلتق المستكلم بالإ أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن  
ما يأتي بعدهما عاقبها عرج فإذا جاء ما بعد آداة الاستفهام من جنس ما قبلها  
تأكد المدح أو النم لكونه مدحآ على مدح أو ذم على ذم ، ففيه نوع من  
الحلابة — أى خداع الكلام<sup>(٢)</sup> .

(١) الفلول : جمع فل وهي : الثلبة في حد السيف ، والقراع : المضاربة  
والكتاب : جمع كتبية وهي القطمة من الجيش

(٢) عبد المنعم الصميدي : بقية الإيضاح ٤ / ٥٨ - ٦١

التفويض :

وله مفهومان عند البلاغيين : المفهوم الأول ولا أثر للإيهام فيه وهو ما ذكره الخطيب القزويني : أن يوقن في الكلام بعثان ملائمة ، في جملة متواترة المقاييس أو متقاربة لها ، كقول عنترة :

إن يلحقوا أكرب ، وإن يستلحقوا  
أشد ، وإن نزلوا بضمك أنزل<sup>(١)</sup>

والمفهوم الثاني الذي يظهر أثر الإيهام فيه هو ما ذكره بحبي بن حمزة الملوى وهو يتصل بتاكيد المدح بما يشهده المدح وعكسه من أنه : وصف المدح بما يدل على مدحه من صفات المسكارم ، وسمات المحامد ثم الإيمان بصفات تدل على ذمه ، ولكن يقتضي بما يرشد إلى كونها مدح ، كقول جرير :

هم الآخيار منسكة وهديا وفي الطيجا كأئمهم صقور  
بهم حدب الكرام على المعال وفيم عن مساوיהם فتور  
خلائق بعضهم فيها كبعض ي القوم كبارهم فيها الصغير  
عن التكراء كأئمهم غبي والمعرفة كأئمهم بصير<sup>(٢)</sup>  
فتتشبيبهم بالصقور على إطلاعه ذم ، لأن من شأن الصقور الخطف  
والبغى ، وتوصف بالبخر ، ولكن اقتراحه بالطيجا ، جعله مدحًا ، لأن  
الإنسان إذا كان في الحرب صهر اكان باسلامة — كما أن وصفهم بالفتور —

(١) يستلحقوا : يطلبون أن الحق بهم .

(٢) المنسكة : التزهد والتبدىء ، والطيجاء بالمد واقتصر : الحرب —  
الحدب : العطف

وهو ضفف وعجر : ذم ، ولكن اقترانه بعطفهم على المعالى ، ولو عزم  
بها صيره مدحًا ساميًّا .

وانتام السكير بالصغير نهاية الخول ، واقترانه بأنهم يتساون في  
الأخلاق الكريمة والصفات الطالية رفعه إلىغاية من الثناء والمديح ،  
والقباوة في ظاهرها صفة ذم ، ولما اقترنت بأنهم بصراء بالمعروف تحولت  
إلى مدح عظيم .

فنرى من ذلك أن اللون البديعي قد يفسر أكثر من تفسير كما تبين لنا  
من اختلاف البلاغيين في تفسيرهم للتغويف وان دراسة الفنون البلاغية  
والبديعية على هذا النهج تحسن المشكلات التي تنشأ عن ذلك واهما : البلبة  
والاضطراب والتداخل والتكرار .

#### تجاهل المعرف :

ويظهر الإيمام بوضوح في اللون البديعي الذي يعرف «تجاهل المعرف»<sup>(١)</sup>  
وهو : أن تأسُّ عن شيء تعلمه موهمًا أنك لا تعرفه وأنه مما خالجك فيه  
الشك والريبة<sup>(٢)</sup> .

ويعد الإمام أوضح الأسرار البلاغية لهذا اللون ، إذ يقول أول الأمر  
أن الكلام على ظاهره ، ثم يظهر بالتأمل أن ادعاء عدم العلم لأسرار بلاغية  
كالتعريف بالكافر واتهامهم على الباطل والضلال وان الإسلام هو الدين  
الحق ودين المهدى الذي ينبغي اتباعه في قول الله تعالى : وإنما أو لِيَاكُم

(١) سهاد السكاكى : سوق المعلوم مساق غيره تأديبا لوروده في كلام  
الله عز وجل . عبد المتعال الصعيدي : بنية الإيقاح ٤ / ٦٧

(٢) يحيى العلوى : الطراز ٣ / ٨٠ ، ٨١

لعل هدى أُوف ضلال مبين<sup>(١)</sup> كما ان هناك فائدة اخرى في التعبير القرآني على هذا الوجه من الإيهام هي : انه يبعث المشركون على انتامل في حال النبي ﷺ والمؤمنين وإذا فسروا فيما عليهم من إغارات بعضهم على بعض وسيذار لهم واستباحة اموالهم وقطع الأرحام وإتلاف الفروع الحرام وقتل النقوص التي حرم الله قتلها وشرب الخراثى تذهب العقول وتحسن ارتكاب الفواحش وفكروا فيما النبي عليه السلام والمؤمنون عليه من صلة الأرحام واجتناب الاثام والآمر بالمعروف والتبيه عن المشكر واطعام المساكين وبر الوالدين والمواطنة على عادة الله تعالى علموا أن النبي عليه السلام والمسلمين على هدى وأنهم على الصراط ، فيبعثهم ذلك على الإسلام وهذه فائدة عظيمة<sup>(٢)</sup> .

#### الجذام :

هذه البلاءات المتأخرة من الحسنان اللفظية التي يعود تحسينها إلى اللفظ أولاً وبالذات وإلى المعنى ثانياً وبالعرض ، وحكموا على الجناس بما حكموا به على كل فنون البديع من أنه محسن عرضي يوقي به قصدآ للتحسين بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة على المعنى المراد ، وإذا كان قد غاب عنهم أن القرآن الكريم وهو كنز البلاغة قد اشتغل على كثير من هذه الفنون فوقدت فيه أروع موقع وصادفت أسمى مكان فإنهم بهذا الصنف قد ناقضوا مقاييس البلاغة وهو المطابقة لمقتضى الحال الذي يتعبر كل ما استلزمته المقام من صميم البلاغة . وكل ما لم يناسب الحال وما لا يقتضيه المقام بعيداً عن البلاغة ويشمل ذلك كل فنون البلاغة في المعانى والبيان والبديع<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة سباء : ٢٤

(٢) سعد الدين التفتازاني : المطول ص : ٤٤٣ ، ٤٤٤

(٣) د. فتحى فريد . البديع — المقدمة

والإيهام بالنسبة للجنسين يتعدى، كونه غرضاً مستقلاً، أو لوناً من ألوان التصرف والتغافل، أو عيناً يحيط به كابداً ذلك في كثير من فنون البلاغة التي «رت بك»، وإنما يعد الإيهام السر البلاغي للجنسين والعنصر الجسال الذي اعتمد عليه من قبيل رواية أصله البديع «أمة وحكموها بلاغة الجنسين إذا صادف موقعه وخلال من التكفل بصفة خاصة».

ويبدو الإيهام كسر بلاغي للجنسين فيما يحدهه آفاق الكلمة الثانية أو تشابهاً مع الكلمة السابقة من الناحية الشكلية من قويم أنهما سواء في المعنى ثم يظهر بالتأمل والتدرّب أن معناهما مختلف تماماً فيزدده، التأمل الطويل إلى استقرار المعانٍ وثباتها، فيحال الجنسين إذا يتجاوز جنال الإيقاع وخطوة التعمق الناشئ عن تمايز الحروف وتكرارها إلى حجم المعانٍ فيكتسبها تأكيداً ويتحقق هارسوناً وثباتاً، وقد افتح عبد القاهر، «أسرار البلاغة»، بالحديث عن هذا الإيهام وذلك المذاق الذي يهد السر البلاغي للجنسين فيقول: «وها هنا أقسام قد يتوجه في بهذه الفكرة، وقبل إتمام العبرة أن الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ، والجرس إلى ما ينافي في العقل والنفس، وما إذا حقق النثار مرجع إلى ذلك ومنصرف فيما بيننا لك، منها التجنيس والخشوع»<sup>(١)</sup>.

ثم ينوه عبد القاهر بالإيهام في الجنسين من خلال الشواهد فيقول: «واعلم أن السكتة التي ذكرتها في التجنيس، وجعلتها العلة في استبعاده الفضيلة، وهي حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكثير وال إعادة، وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه إلا في المستوف المتفق الصورة منه كقول أبي تمام:

(١) عبد القاهر الجرجاني: «أسرار البلاغة» ص: ٣ تحقيق: السيد رشيد رضا ط سادسة.

ما مات من كرم الزمان فإنه  
يحيى لدى يحيى بن عبد الله  
أو المرفو الجارى هذا الجرى كقوله : أو دعاني أمت بما أودعنى ،  
فقد يتصور في غير ذلك من أقسامه أيضاً ، فما يظهر ذلك فيه ما كان نحو  
قول أبي تمام .

بمدون من أيد عواصم عواصم  
تصول بأسياf قواض قواض

وقول البحتري :  
لئن صدفتنا فربت أنفس  
صواد إلى تلك الوجوه الصوادف<sup>(١)</sup>

وذلك أنك تقوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالم من : عواصم  
والباء من : قواض أنها هي التي مضت وقد أرادت أن تحيطك ثانية ،  
وتعود إليك مؤكدة ، حتى إذا تمكنت في نفسك تماماً ، ووحي سمعك  
آخرها افصرفت عن ظنك الأول ، وزلت عن الذي سبق من التخييل ،  
وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفاقدة بعد أن يحالطك اليأس منها ،  
وتحصل الرجع بعد أن تغالط فيه حتى ترى أنه رأس الماء<sup>(٢)</sup> .

فيهذا الذي ذكره عبد القاهر يوضح لنا قيمة الفنون البديعية عامة وفن

(١) صدف : انصرفت — والصوادي : جمع صادية اسم فاعل من الصدى وهو العطش الشديد شبهه بشدة الشوق إليه ثم استعارة تصريحية تعبية — والشاهد في قوله : صواد وصوادف .

(٢) عبد القاهر : أمرار البلاغة ص : ١١، ١٢، ط سادسة .

الجنس بصفة خاصة إذا جاءت في موضعها وصادفت موقعاً ولم تكن متكافلة ولا مجتبأة، كما تبين أن للجنس صرفاً بلا غبأً يتجاوز حلاوة الجرس وعذوبة النغم إلى الإيمام والخداع الذي يتخيّل منه أن الأفظاعين متعدّتان في المعنى وهما في الحقيقة مختلفتان وفي ذلك ما قرره من حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكثير والإعادة.

وبعد :

فتلك نماذج متعددة من علوم البلاغة الثلاثة رأينا أنه يمكن جمعها ودراستها تحت مسمى لغوي واحد وهو الإيمام، وأن في ذلك تقليلاً للأقسام وعوّنا على الضبط والحصر ومن ثمّا للبلاغة والإضمار ، وادخاراً للوقت والجهد ، وإنقاذاً على تحقيق الأهداف التي ينبغي أن ييلفوها الدرس البلاشي .

المقدمة :

إذا كان كل عمل يوزن بقيمه ، ويقدر بناتجه وآثاره ، فإن قيمة الدرس البلاغي تتصل فيما يتحققه من فوائد لغوية وما يصل إليه من أسرار بلاغية ، وذلك يدعو إلى تصوير الدرس البلاغي وتجديده تصويراً يحقق له أهدافه ، وتتجديداً يحافظ على كيان البلاغة ويضمن لها تميزها ، ويتمدد أصلاً وأساساً على التراث العربي والأدبي ، حيث إنه خير ما يضمن للبلاغة الأصالة ويعمق لها الجدّة .

ولما كان داء المصطلحات من أوضاع الأدواء التي أصابت البلاغة العربية في طورها المتأخر فموقـ سيرها وهرقلـ نموها ، ومنها من يلوغ أهدافها فقد قدم البحث علاجاً يبعد من خطره ، وبذلك من ضرره ، وبعد الدرس البلاغي إلى مساره الطبيعي وهدفه الأساسي ، وتمثل ذلك العلاج في جمع

كل الفنون البلاغية التي تلتقي على عمر بلاغي معين ، ودراستها من خلاله ،  
وإذ تؤدي تلك الطريقة إلى تقليل الأقسام والمتذكرين من حصرها وضيقها  
فيها أيضاً تزيل ما يedo بين الفنون البلاغية من تداخل وتضارب وما تعيشه  
الأفهام من عنت وإرهاق عند التوفيق بينها ، وذلك هام وضروري لبني  
الثمار المطلوبة والأغراض التي ينبغي أن يؤديها درس البلاغة .

« وما توفيق إلا باقه عليه توكلت وإليه أنيب » .

## البلاغة

### بين الطبع والصنعة

الحمد لله الذي علّم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم . والصلة والسلام على المؤيد بانقرآن سيدنا محمد بن عبد الله أنسخ الناطقين بلغة القرآن وعلى آله وأصحابه الطيبين العاشرين .

وبعد

فقد تعددت اتجاهات الداعين إلى تجديد بلاغتنا العربية وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، وسلكوا طرائق قدماً كان بعضها معقولاً وكثيرها متجاوزاً حد العقل .

ونرجو أن تكون هذه الصفحات في خدمة بلاغتنا من الصنف الأول الذي لا يبلغ درجة الغلو في حكمه ، ولا يقضى بسرعة على جهود أعلام وفلك أهل ما .

وقد رحنت تلك الصفحات تحت عنوان : « البلاغة بين الطبع والصنعة » ، وجاءت في : تمهيد وأربعة فصول وعامة .  
فعرض التمهيد لما جاء في كلام « سعد الدين التفتازاني » من عدم اقدر كثير من علماء البلاغة على تأليف كلام يليغ محدداً عدداً من مكونات بلاغة فوضي السبب في ذلك وهي ذئنة البلاغة ، ومنتها ، وأهدافها ، وألاتها .

\* بحث منشور بمجلة الأزهر الشريف عدد ربيع الأول سنة ١٤٠٣ هـ  
ديسمبر سنة ١٩٨٢ م وعدد جمادى الأولى وجمادى الآخرة سنة ١٤٠٣ هـ  
غير ابر ومارس سنة ١٩٨٣ م .

وتحدث الفصل الأول عن : نشأة البلاغة وتطورها وأثر الطبع في مرحلة النضج والازدهار ، وفي مرحلة القواعد .

وتحدث الفصل الثاني عن : معنى البلاغة مبيناً أن بلاغة الأدباء كانت أقرب ما تكون من معنى البلاغة لاعتبارها على الطبع .

وتحدث الفصل الثالث عن الهدف من دراسة البلاغة الدين والأدق والتقدى موضحاً أن بلاغة الأدباء التي اعتمدت على الطبع كانت أكثر تحقيقاً للأهداف السابقة من بلاغة المتأخرین التي تحقق الهدف الدين وهو الوقوف على سمات النظم القرآني وتنزيل أسرار بلاغته وبعضاً من الهدف التقدى، وتقصر عن بلوغ الهدف الأدق .

وتحدث الفصل الرابع عن : آلات البلاغة موضحاً أن هناك فرقاً كبيراً بين البلاغة ككلام بلين وبينها كقواعد وضوابط من جهة آلات البلاغة حيث تتمدد الأولى على الطبع الموهوب والثقافة المكتسبة، وتعتمد الثانية على دراسة علوم اللغة مع الذوق والحس .

وتحدث الخامسة عن أن بلاغة المتأخرین تحمل روح عصر وفكرة جيل وأنها يمكن أن تنتج أطيب المثار لو مرت ببلاغة المقدمين الأدباء — وأن ذلك أفضى سبيلاً لتجدد البلاغة وإصلاحها : جمعه بين العلم والفن، وبين العقل والذوق .

« وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

تمهيد : يقول « سعد الدين الفتازاني » في مطلعه وفي خاتمة كلامه على الفصاحة والبلاغة : « فإن قيل : ليست البلاغة سوى المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة وعلم البلاغة كائل بال تمام هذين الأمرين فن أفقنه وأحاط به لم لا يجوز له أن يراعي بما حق الرعالية في أي بكلام هو في الطرف الأعلى

من البلاغة ولو بقدر أقصى سورة ؟ قلنا : لا يعرف بهذا العلم إلا أن هذه الحال تقتضي ذلك الاعتبار مثلاً، وأما الإطلاق على كثرة الأحوال وكيفيتها ورعاية الاعتبارات بحسب المقامات فأمر آخر ، ولو سلم فلإمكان الإحاطة بهذا العلم لغير علام الفيوض ممثوع ، وكثيراً من مهراً لهذا الفن تراه لا يقتدر على تأليف كلام بلغ فضلاً عما هو في الطرف الأعلى ،<sup>(١)</sup>.

ويمكنا بشيء من التأمل في جواب سعد الدين التفتازاني ، على السؤال المفترض السابق أن نستخلص عدداً من الأحكام منها :

١ - أن مسائل البلاغة في علومها الثلاثة : المعان والبيان والبدع لا تزيد عن كونها مقاييس يستعين بها الناقد في أداء مهمته حول النص الأدبي – فهذه حال تستدعي التعريف ، وتلك أخرى تستدعي التشكيك وهناك ثلاثة تستدعي التجرد من التوكيد ، ورابعة يلزمها التوكيد على نحو ماروى الأصحابي : « كان أبى عمرو بن العلاء وخلف الأخر يأتىان بشارة فيسلمان عليه بنية الإعظام ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متراضعين له ، حتى يأتي وقت الزواله ثم يتصرفان ، فأتياه يوماً ، فقالا :

ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة ، قال : هي التي يلتفتكم  
قالا : يلتفتكم أكثركم فيها من الغريب . قال : نعم ، إن ابن قتيبة ، يتناول  
بالغريب . فاحببتم أن أورد عليه مالا يعرف ، قالا : فأنشدناها يا أبا  
معاذ فأنشدهما :

(١) سعد الدين التفتازاني : المطول على التلخيص ص : ٣٠ . ط  
أحمد كامل ١٣٣٠ هـ .

(٢) البلاغة .

بكرأ صاحبِي قبل المغير إن ذلك النجاح ف التبشير<sup>(١)</sup>

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان - أن النجاح -  
بكرأ فالنجاح ، كان أحسن ، فقال بشار : أنتا بنها أمرابية وحشية -  
قلت : إن ذلك النجاح - كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت : بكرأ  
فالنجاح كان هذا من كلام المؤذن ولا يشبه ذلك الكلام<sup>(٢)</sup> ، ولا يدخل  
في معنى القصيدة ، قال : فقام خلف فقيل بين عثيمه ، وعلق صاحب  
الإيضاح على ذلك بقوله : « فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من  
أبي عمرو بن العلاء وهم من خولة الفن إلا للطف المعنى بذلك وخفاته »<sup>(٣)</sup> .

٢ - أن تأليف كلام يتلاءم مع المقامات المناسبة له تمام الملامة  
بدون زيادة ولا نقصان عمل بالغ الصعوبة إن لم يكن مستحيلا .

٣ - أنه على فرض امكاني حصول ما سبق من تأليف كلام بلينغ  
متنااسب مع المقام الذي قيل فيه من جميع الوجوه فإن البلاغة التي تهدى الوجه  
الأسامي لاعجاز القرآن والسمة العامة المميزه له لا يحيط بها من كل جهاتها  
ومن جميع جوانبها إلا المولى جل وعلا .

٤ - أن كثيرا من علماء البلاغة الحفظيين بأسرارها لا يستطيعون  
تأليف كلام يمكن وصفه بالبلاغة .

(١) المغير : من الرواى إلى العصر ، أو شدة الحر ، وقد أكد الشطر  
الثاني بأن لتقدم ما يشير إليه في الشطر الأول فنزل غير السائل منزلة السائل  
واخرج الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال .

(٢) لأنه ليس فيه من دقة الاشارة إلى تنزيل غير السائل منزلة السائل  
كما في قوله : « إن ذلك النجاح » .

(٣) عبد المتعال الصعيدي - بغية الإيضاح ١ : ٤٨ - ٤٩ - ط سادسة  
مكتبة الآداب - مصر .

ويعنينا في مقامنا هذا من الأحكام السابقة التي استخلصناها من مقوله « سعد الدين الفتاوازى » الحكم الرابع الذى يزيده الواقع ويؤكده الحالى من عدم مشاركة كثير من علماء البلاغة والباحثين فيها والدارسين لها فى صنع الأدب وتأليف البلية من القول شرعا وتركتابه أو حدثا لعدم تمسكهم من ذلك .

وبالتأمل في الحكم السابق يفوتنا خارجنا ذلك السؤال :

لماذا لا يتذكر كثير من علماء البلاغة والباحثين فيها والدارسين لها من الامهام في مجال الأدب الذي يعد حقل البلاغة وميدانها الذي تروح وتتجدد فيه ؟

هذا ونستطيع العثور على اجابة ذلك السؤال لو أقينا أنفسنا نظرة حول هذه المكونات الأربع لبلاغتنا العربية .  
أولاً : قيمتها وتطورها .  
ثانياً : معناها وتعريفاتها .  
ثالثاً : الهدف من دراستها .  
رابعاً : آلاتها وسبل تحصيلها .

الفصل الأول

نشأة الملاعة وتطوّرها

لا يوجد اختلاف بين البلاغيين والنقاد على أن البلاغة نشأت أول الأمر فطرية ساذجة لم ... - بها العرب في كتب ولم يتلقواها من أستاذ، وإنما كانت لهم بفطرتهم قيمة وسلقيتهم العربية الخالصة ، وأكيد ذلك ما أتفقته إلينا كتب الأدب والنقد - فمن ذلك ما يروى عن طرفة من أنه استمع وهو لا يزال غلاما إلى المسبب بن عيس ينشد أحدي قصائده وقد ألم فيها ووصف بغيره على هذا النحو :

<sup>(١)</sup> وقد أتتني لهم عند ادخاره بناءً عليه الصيغة مقدم.

فقال طرقه . استنه و اعلم .

و ما يروى من أن « النابعة الذبيانى » كان يقوى في شعره (٢) .  
و تصادف أن قدم المدينة فعاب أهلها ذلك عليه ، و قالوا لجازية رتلي  
في قوله :  
أمن آل منه رانع أو مقتد عجلان ذا زاد وغير مزود (٣)

(١) الناجي : البعير السريع في سيره - ومقدم : من السكمة وهي الوشم والصيغة : منه خاصة بالثوق لا يأجل ، وتكون في أعناق الثوق

(٢) الأقواء: الخلافة بين حركات الروى في القصيدة.

(٢) أراد النابغة بالزاد هنا : التوديع والتسليم

**نعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الأسود<sup>(١)</sup>**

فلا مدت صوتها بقافية البيتين أحس ما يهم من نشاذ ، ولم يليث أن غير الروى المضموم فقال : وبذاك تهاب الغراب [الأسود] . ومن ذلك الأسطورة التي ترجم أن أمرأ القيس <sup>وعلقمة</sup> بن عبد تمارعا في الشعر أحمس أشعر ، واحتكم إلى أم جنديب زوجة أمراء القيس ، ولعلها كانت شاعرة ، فقالت : لينظم كل منكما قصيدة يصف فرسه فيها ، وللتلزمما وزنا واحدا وقافية واحدة فصنع كل منهما قصيدة بأبيات من وزن الطويل ، وأنشدتها التصيدين . فقالت لزوجها : علقة أشعر بذلك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنك قلت :

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع اخرج مهذب<sup>(٢)</sup>  
ثم سدت فرسك بسوطك في ذجرك ، ومررت به فأقيمت بساقيك ،  
وقال علقة .

فادر كهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائع المتجل<sup>(٣)</sup>  
فأدراك فرسه ثانيا من عنانه لم يضر به بسوط ولم يتبعه<sup>(٤)</sup> .

وقريب مما سيق في عدم الاكتفاء بالتأثير استحسانا أو استهجانا  
وسوق الدليل والمثلة على هذا التأثير ما يروى كذلك من أن النابغة

(١) البوارح : طيور كانوا يتطايرون بها ، ومثلها الغراب

(٢) الألهوب : اجتهاد الفرس في عدوه وكذلك الدرة — والآخر  
ذكر العام وهوظلم — ومهذب : مسرع .

(٣) الرائع : صاحب المشي — المتجلب المتساقط .

(٤) د . شوق حبيب - النقد من : ١٩ ، ٢٠ ط تانية - دار المعارف  
عام ١٩٦٤ م .

كان يجلس في سوق عكاظ يحكم بين الشعراء في قبة الحرام من الجلد، فأذنده الأعشى والحساء وحسان، فقال للحساء: لو لا أنت وأبا بصیر — يعني الأعشى أذنني لقلت: أذنك أشفر الجن والإنس — فالأشفیع عند التابعة أشعر — وتنهي الحسانه. ثم يلها حسان — ويقال: أن حسان يسأل عاجله يتختلف عن الحسانه، فقال التابعة يعلل هذا — أو قال الحسان تقدا ليته:

لنا الجفتات الغر يلعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من مجدة دما

قلت: «الجفتات»، وهو جمع قوله، ولو قلت: «الجفان»، لكان أفضل، وقلت: «يلعن»، والمعنى يختفي ويظهر، ولو قلت: «يشرقون»، لكان أفضل، وقلت: «بالضحى»، وكل شيء في الضحى يلعن — ولو قلت: «بالدجى»، لكان أفضل، وقلت: «يقطرن»، ولو قلت: «يجربن»، لكان أفضل<sup>(١)</sup>

وتدلنا تلك الفاذاج على أن البلاغة في ذلك العصر الجاهلي كانت تأخذ مظاهر عامين: مظاهر اشتراك فيه العرب جميعاً حين يستمعون إلى شعر شاعر فيقدرونها وبهاربون لها ويتقدموا أشرافهم وأمراؤهم فيجزرون أحبابه وهم في ذلك إنما يرجعون إلى ذوق أدق راق، ومظاهر انانيا مقصوداً على الاخصائين من الشعراء الذين كانوا لا يكتفون باظهار الاعجاب أو السخط وإنما يمدون إلى إبداء الملاحظات والآراء، على ما يسمعون إنما من تلاميذهم أن كانوا معلمين، وإنما من عامة الشعراء أن كانوا تقداً يكتبين<sup>(٢)</sup>

(١) سيد قطب — النقد الأدبي أصوله ومتناهجه — ص: ١١٦ ط زاوية ١٩٦٦

(٢) د شوق ضيف — النقد من: ٢٢ ط ثانية — ويستشهد بالفاذاج السابقة عدد من النقاد والبلغيين المعاصرین على نشأة النقد الفطرية الساذجة — وعلى امتصاص النقد بالبلاغة عند الشاعر — والباحث لا يرى =

فروقاً بين البلاغة وال النقد في أي دور من الأدوار ولا في أي عصر من عصور ثقافتنا العربية - فقد نشأ معاً ، وتطوراً معاً ، ويضططعان بهمزة واحدة ، وهي تقويم الأساليب وتقسيماها ، والراجح أن ما ذهب إليه بعض النقاد من تحول النقد إلى بلاغة في كتاب « الصناعتين » لأن هلال العسكري ، بالنظر إلى ما كان معروفاً من وضوح الروح الأدبية في آثار البلاغيين والنقد المتقدمين ، أو بالذكير على تجربة معينة عاشها النقاد مع الأدب الحالص كتجربة كل من الأمدي وعلي بن عبد العزيز الجرجاني . فلما اضحت الروح الأدبية في « تشب البلاغة » ، ولم تعد دراسة البلاغة من خلال موقف أدبي معين قبل : أن النقد تحول إلى بلاغة .

ويزيد في افتاء بعدم الفصل بينهما غير ما سبق ، أن عمل الناقد لا يتميز ببنيه بمحمله يستأهل أن يكون عملاً آخر غير عمل البلاغي ، وبشهده على ذلك تراث البلاغة في كل عصورها حتى في طورها المتأخر الذي قسمت فيه إلى علومها الثلاثة — حيث تعدد مقاييس البلاغة آلتمن الآلات المأمة التي يتعامل بها الناقد مع النص الأدبي — وكل من البلاغة والنقد يتعلق بموضوع واحد وهو الأدب .

ومن يتأمل مناهج النقد الثلاثة : الفى الذي يعتمد على اللغة : تدورها وصرفها وبلاغتها - والتاريخي الذي يتم ببحث العلاقة بين الأدب والمجتمع والعصر الذي يعيش فيه وتأثير كل منهما في الآخر - والنفسى الذي يقوم على بحث علاقة النص بنفسية صاحبه وبنفسية الملقى عليهم - من يتأمل الدور الذي تؤديه كل من تلك المناهج لا يجد له أدنى فرق بين البلاغة والنقد . وعلى هذا فإن عدداً من نظريات فقدنا الحديث يمكن ردها إلى أصولها في بلاغتنا المتقدمة .

راجع ذلك مفصلاً في كتابنا : المدخل إلى دراسة البلاغة ص : ٤٠  
وما بعدها ط أولى ١٩٧٨ م - مكتبة الهيئة المصرية - القاهرة .

ويجيء الاسلام ومعه معجزته السكرى : القرآن السكرى الذى كان له الأثر الكبير باعجازه اللغوى والبلاغى فى تغيير معتقدات الناس وسلو كهم فأقبلوا يعتقدون الدين الجديد ووقفوا يلاذتهم الفطرة بمهدورين أمام بلاغة القرآن العالية التي كان مثار دهشتهم لها أنها تألفت من حروف وكلمات اللغة التي استقامت لهم وجرت على ألسنتهم لكن في تراكيب لم يالفوها وأساليب لم يهدوها ، ويعبّر في الوقت نفسه عن بلاغة العرب الفطرية التي لم تسكن عرف المصطلحات بعد طريقاً إليها قول الوليد بن المغيرة المخزومي لبني مخزوم بعد أن استمع إلى آيات من سورة « حم » ، « فصلت » من الرسول ﷺ ، « والله لقد سمعت من محمد آنفنا كلاماً ما هو من كلام الآنس ، ولا من كلام الجن ، أن له خلاوة ، وأن عليه لطلاوة ، وأن أعلاه لشعر ، وأن أسلفه لم تدقق ، وأنه يعلو ولا يعلى عليه » .<sup>(١)</sup>

(١) محمد عبد الخالق عصبة — مجلة كلية اللغة العربية بالرياض — العدد السادس : ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م — وفي رواية أن « عتبة بن ربيعة » ذهب إلى النبي ﷺ ليحدثه فيما جاء به من خلاف قومه ، فتسلّم عليه الرسول عليه الصلاة والسلام : « حم فصلت » إلى قوله تعالى : « صاعقة مثل صاعقة عاد وثعود ، فامسكت ، عتبة ، بيده على ف النبي ﷺ وناشدته الرحم أن يسْكُف ، وفي رواية : يجعل النبي ﷺ يقرأ وعتبة مصع ملق يديه خلف ظهره مفتعد عليهما ، حتى اتىها إلى السجدة فسجد ، وقام عتبة لا يدرى بم يراجعه ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قومه حتى أتاهه فاعتذر لهم وقال : « والله لقد كلفني ب بكلام واحد ما سمعت أذناي بذلك قط ، فا دريت ما أقول له » .

انظر : القاضى عياض — إعجاز القرآن ص : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢١ ط أولى ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م والخطابى ، بيان أجيال القرآن ص ٩٤-٩٢ ط أولى ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م مصر .

ويذكر الباحثون في تاريخ البلاغة أن كتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، قد ألقى عقب سقوطه عن سر بلاغي يتعلق بإحدى آيات القرآن الكريم وهي قوله تعالى : « طلها كأنه رؤوس الشياطين »<sup>(١)</sup>

فتشبيه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين التي لم يرها الناس قط ، وإنما يقع الوعد والإيمان بما عرف منه ، فقد ذكر « أبو عبيدة » في بيان السر في ذلك ، أن الله عن وجل يأتي في هذا بكلامه على طريقة العرب في كلامهم مثل قول أمرئه القيس :

أيقتلني والمشرف مصاجعي ومسنونة رزق كانياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولكن لما كان أمر الغول يهو لهم أو عدوا به<sup>(٢)</sup> . ويقول « أبو عبيدة » : فاستحسن الفضل ذلك ،<sup>(٣)</sup> واستحسنه

(١) سورة الصافات : ٦٥ – الضمير في ( طلها ) يعود إلى شجرة الزقوم ، والطلع النخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حلها . وقد شبه طلع شجرة الزقوم : برؤوس الشياطين ، دلالة على تناهيه في الكراهة ، وقبح المنظر ، وذلك لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس ، لا عنقادم أنه شر عرض لا يخالطه خير . وهذا التشبيه وهى ، لأنه لا وجوه لرأس الشيطان إلا في الأوهام ، ومن هنا كان بعيداً عنها ، لذا لم يزد الشيء عن العيون على أن يكون وجود مثتها أصلاً حتى لا يتصور إلا في الوهم . د . أحمد موسى – البلاغة التطبيقية ص : ٥٤ ، ٥٥ . ط أولى ١٩٦٣ مطبعة المعرفة .

(٢) شبه السهام ، أو الرماح المستوفدة ، بآيات الأغوال في الخدمة ، وهو تشبيه بعيد غريب لأن المشبه به يندر حضوره إلى الذهن مطلقاً وعلى أي حال ، لأنه أمر وهى – البلاغة التطبيقية ص : ٥٤ .  
(٣) هو الفضل بن الريبع وزير الرشيد .

السائل، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في مثل هذا وأشياءه وما يحتاج إليه من عليه ، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته : « المجاز في القرآن » (١) .

ولم يكن يقصد أبو عبيدة « بكلمة ، المجاز ، في ، معان القرآن » المعنى البلاشي الذي عرفه علماء البلاغة فيما بعد ، وهو استعمال المانظ أو التركيب في غير المعنى الذي وصحت له العرب لعلاقة مع قرينة ماضيه من ارادة المعنى الأصلي في المجاز التأقرئ ، أو استفادة الشيء إلى ما ليس حقيقة أن ينسب إليه في المجاز العقل أو الاستدلال . بل أن « أبي عبيدة ، أطلق لفظ المجاز وأراد به معناه الواسع الذي عرفة من الوضع اللغوي ، وهو المعبر والمر والمجرى والغريق فسكان معنى « معان القرآن » طريق الوصول إلى فهم المعانى القرآنية ، يكتوى بهذه أن يكون طريق ذلك تفسير الكلمات اللغوية التي تحتاج إلى تفسير بالجملة الشائعة ، أو بالمراد ، المفسر من المفردات ، وما كان عن طريق الحقيقة بمعناها . أو الطريق المجاز بمعناه عبد البلاغيين (٢) .

وحلمت مؤلفات العلام بعد ذلك في اللغة والأدب تحمل في ثناياها أمراً بلاغية بمترجمة باللغة والأدب كما في « الكتاب لسيروه المترافق سنة ١٨٠٥ » ، والبيان والتبرير للجاحظ المترافق سنة ٢٥٥ ، والتكامل في اللغة والأدب لابي العباس محمد بن زيد المبرد المترافق سنة ٢٨٥ .

ولذا كان علماء البلاغة لا يختلفون على أن كتاب « البداع لعبد الله بن المعتز ، يمثل أول تأليف مقتن في البلاغة حيث تحدث فيه صاحبه عن سبعة

(١) أحمد مصطفى المراغي — تاريخ علوم البلاغة ص: ٦٣ — ٦٥  
ط أولى ١٣٩٩ هـ ١٩٥٠ م.

(٢) د. بدوى طيانه — البيان العربي ص: ٢١ ، ٢٢ ط خامسة —  
بيروت ١٣٩٢ — ١٩٧٢

عشر فتاوى من فتاوى البلاغة فإنهن ينتقدون على أن القرن الرابع بعد أزمه،  
فترة في حياة بلاغتنا العربية حيث تناول البلاغة بالتأليف أدبياً أصحاب  
طبع أدق وحس بلاغي وذوق عريض صاف ، فكتابات البلاغة في مؤلفات  
أعلام هذه الفترة متزوجة بالأدب وصادرة عن الذوق مما يكتب دارسيها  
ذوقاً بلاغياً وحساً أدبياً وتقديراً على تحفه ما نقف عليه في «عيار الشعر»  
لابن طباطبائي المتوفى سنة ٣٢٢هـ ، وقد نشر لقادة ابن جعفر المتوفى  
سنة ٣٣٧هـ «الموازنة بين أبي تمام والبحترى للأداء»، المتوفى سنة  
٣٧١هـ ، و«الوساطة بين المتنبي وخصوصه» لعلى بن عبد العزيز الجرجاني  
المتوفى سنة ٣٩٢هـ ، و«الصتاuginين لأبي هلال العسكري»، المتوفى سنة  
٤٠٥هـ .

كما لا يختلف البلاغيون على أن البلاغة بلغت رشدتها وحققت أسمى  
غاياتها في كتابي «عبد القاهر الجرجاني» ، «دلائل الإعجاز» ، وأمساك  
البلاغة ، حيث جمع فيما بين العلم والذوق واستعمال بأحد حما على الآخر ،  
 فهو في تحليمه للشواهد والأئمة إلهاً يأخذ بآيدينا ليقفنا على إجمال بشعورنا  
وإحساسنا ، ثم يأخذ بآيدينا ثانية ليقفنا بصدق شعورنا وأحساسنا بالحال ،  
اقناع العقل والمتفق بعد اقناع الشعور والاحساس ، واطنان النفس  
والقلب (١) .

(١) د. مازن المبارك - الموجز في تاريخ البلاغة ص: ١٠٢

طب ثانية - دار الفكر - دمشق ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م - ويحدثنا  
المرحوم الشيخ أحد مصطفى المراغي عن فضل «عبد القاهر» على البلاغة  
في كلامه على الطور الثاني منها الذي يمثله «عبد القاهر والرخشي» وإن  
الأخير فيقول : «يكتفى» بهذا الطور يابي يذكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى  
سنة ٤٧١هـ الذي جمع مترافقات هذا العلم ، وأقام بناءها على أساس ميتة .

وحيث يلقيت البلاغة قة ازدهارها على يد « عبد القاهر » أديباً وذوقاً وعلماً ، فإن عدداً من الاصحاب قالوا أخذت تمضي فيه على يد علماء غير أدباء — ر كروا لهم في جمع قواعدها وتحديد مصطلحاتها على حساب النص العربي والذوق الادبي وقد بدأ هذه المرحلة ، ب نهاية الايجاز في دراسة الاجاز للرازي المترافق سنة ٦٠٦هـ ، وبلقيت غايتها في « مفتاح العلوم » الذي يعقب السكافى المترافق سنة ٦٣٦هـ ، الذي جرى الدرس البلاغى في ظلـ كـ فـ تـ قـةـ منـ الزـمـنـ غـيرـ قـصـيـرـةـ ، ويصورـ أحـدـ الـبـاحـثـينـ الـمـعاـصـرـينـ آثارـ تلكـ المرـحلـةـ عـلـىـ الـأـذـوـاقـ وـالـمـلـكـاتـ وـبـوـاعـثـ ذـلـكـ بـقـوـلـهـ : « وـمـضـتـ سـنـوـنـ ، وـخـلـفـ بـعـدـ عـلـاهـ الـبـلـاغـةـ الـلـفـاظـ خـلـفـ أـضـاعـوـاـ الـأـصـلـةـ ، وـلـمـ يـدـرـ كـوـاـ مـكـانـ الـذـوقـ ».

== وأولى فيه كتاباته أسرار البلاغة ، دلائل الاجاز ، — واحسكم بناءها بصرى الامثلة والشواهد ، مع التحقيق العلمى البدعى الذى حاكى بلسان عربى مبين ، وقرن فيما بين وضع القواعد الفنية ، وصوغها بالاساليب الادبية ، يجمع بين العلم والعمل ، اذ هو جد عاليم بآيات القرآن ان لم تؤيد بالامثلة والشواهد لا تُتصفح حق الوضوح ، ولا تتمثل في الادهان تمام التفاصيل .  
وفى الحق أن كتاباته يعدان أول المؤلفات العلمية فى هذه الفنون بما اشتملا عليه من تحقيق على للباحث الذى عرض لها ، مع اسلوب أدلى لم يعبه ذلك الملح المتعلقى الذى خلط به كلامه ، ولم يطلع على اسلوبه كما طفى على أساليب المؤلفين بهذه .. كذلك من الحق أن يقول : أن « عبد القاهر » يوضعه هذين الكتابين أوثنا منه البيان كاملاً ، كافياً « مسيروه » في الكتاب اذ أوجد به التسخى كاملاً ، وفضل الخليل من قبل ، اذ أوجد العروض على تماماً ، وكل من جاء بعد عبد القاهر فن نور علىه قيس ، ومن يشوع به فهو أغترف ، وما زيد بهذه من المسائل قشور لا يضرير العالم تركها . أحد مصطفى المراغى — تاريخ علوم البلاغة والتعریف برجاها ص : ٢٠ ط أولى ١٣٦٩هـ ١٩٥٠ م الحلبي

والحس في البلاغة .. كان معظم هؤلاء من علماء البلاغة ، ولكنهم لم يكونوا يلقاء في أنفسهم ، ولم يسكونوا متذوقين ولا قادرین على اشتمارنا بعواطف الحال إذا هم تذوقوها ، بفردوا من آثار سلفهم ما يتصل بالأحكام والقواعد ، ثم صنفوا ذلك مستعينين عليه كل بحسب ثقافته بالفلسفة والكلام والمنطق ، وفرعوا وقسموا حتى جامت البلاغة على أيديهم خالية في معظم الأحيان مما به كانت بلاغة — جاءت مجرد من أسباب الحياة ، جافة لا روح فيها ، مقدمة لا بيان يوضّحها ، مقدمة بالحدود ، وإذا هي غادرتها فالجدل فلسقي لا أثر للبلاغة الحية فيه ، وكان ما زاد في إسامتهم إلى البلاغة إسهام أدباء عصورهم بما أدموه به من أدب هريل ، وذوق سقيم — كانت البلاغة فنا يدرك بالحس الحالى — أو كانت جالاً يدرك بالذوق ، فأصبحت على أيديهم أحكاماً أو معارف صاغوها في حدود وتعريفات .

لقد ابتدأ الفخر الرازي ، بتلخيص كتب المترجمان تلخيصاً أخذ يبتعد بالبلاغة عن الصوص ، ويقترب بهامن الحدود والقوانين ، والأحكام والقواعد ، ثم استكملت تعقيدها على يد « السكاكي » في كتابه « مفتاح العلوم » . . . .

ولم يكن العلامة الذين جاموا بعد السكاكي أقل منا شعوراً بما في كتابه من تعقيد ، لذلك فقد يادروا إليه يشرحونه ويوضّحون ما استفاق منه ، إلا أن هؤلاء العلامة كانوا متأثرين بأصل الكتاب وبمنهج صاحبه كما كان كل منهم متأثراً بثقافته الخاصة وطبيعتها فكان منهم الفقيه ، ومنهم المتكلّم ، ومنهم النحوى ، وقد ظهر أثر ذلك كله في شروحهم وتعليقاتهم ، وباق « مفتاح العلوم » محور المتألّف البلاغي ، فظاهر حوله عدد كبير من كتب الشرح والإيضاح والتلخيص والتحذيب <sup>(١)</sup> .

(١) د. مازن المبارك — الموجز في تاريخ البلاغة ص: ١٠٨ — ١١١

وتقديرك من خلال الجولة السريعة السابقة مع شأة البلاغة وتطورها  
أن الطبيع يقف وراء وصف كل مرحلة من مراحل البلاغة بما اتصف  
به من : الدقوق والنفطرة مع التعليل أحياناً بعيارات موجزة — إلى النضج  
الأدبي ، والبلاغي في مرحلة الجمع بين العلم والذوق — ثم في مرحلة القواعد  
الخالصة غير المدعنة بالأدب والذوق .

## الفِيصلُ اثْنَانِي.

### معنى البلاغة وتعريفاتها

إذا كان الطبع الأدنى والحس البلاغى يمثل المكون الأول لراحتى  
البلاغة السابقة حضوراً وغيبة كارأينا فإنه يهد أيضاً مكتناً أساسياً في معنى  
البلاغة وما ذكر من تعريفات لها عند المتقدمين والمتاخرين .

فقد عرفها « أبو هلال العسكري » من المتقدمين بآنسا كل ما تبلغ به  
المعنى قلب السامع فتمكنته في نفسه لتمكنه في فحص [مع] صورة مقبولة  
ومعرض حسن (١) .

وعرفها « عبد القاهر » مع الفصاحة والبيان والبراعة وما يشاكلها من  
اللفاظ متدايرة تدل على معنى واحد يأتها : « وصف الكلام بحسن الدلالة  
وتمامها فيما له كانت دلالة ثم تدرجها في صورة هي أبهى وأذى ، وآق  
وأعجب وأحق بأن تستولى على هوى النفس ، وتثال الحظ الأوفر من ميل  
القلوب ، وأولى بأن تعلق لسان الحامد ، وتطليل رغم الحاسد ، ولا جهة  
لاستعمال هذه الحصالة غير أن يرقى المعنى من الجهة التي هي أصح لناديه ،  
ويعتبار له اللفظ الذي هو أخص به ، وأكشف عنه ، وأتم له ، وأحرى بأن  
يكسبه نيلاً ويظهر فيه مزية » (٢) .

(١) أبو هلال العسكري : الصناعتين ص ١٦

(٢) عبد القاهر : دلائل الإعجاز ص ٣٩ ، ٤٠ ط ثانية تحقيق : أحد  
مصنفو المراغي – المكتبة الخمودية التجارية .

وعلّمها أبو يعقوب السكاكى ، من المؤخرین بأنّها : مطابقة الكلام  
لمقتضى الحال مع فصاحتها<sup>(١)</sup> .

وهي عند ابن وهب ، من المؤخرین أيضاً : « القول الخيط بالمعنى  
المقصود ، مع اختيار الكلام ، وحسن النّظام وفصاحة اللسان »<sup>(٢)</sup> .

ويتفق مع التعریفات السابقة للبلاغة من حيث المضمون تعريف  
المتأخرین من البلاغيين لكل من : فصاحة المتكلم وبلايته – فصاحة  
المتكلم : ملکة يقدّر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح .  
وبلاحة المتكلم : ملکة يقدّر بها على تأليف كلام بلين<sup>(٣)</sup> .

وندرك من تعریفات البلاغيين متقدمهم ومتأخرهم لكل من الفصاحة  
والبلاغة أنها تلقى حول مضمون واحد وهو صنع الأدب وتأليف الكلا  
بلين وأن حدث اختلاف بينها من ناحية الشكل  
بل أن من يتّسّع في تعريف الأدب لا يلوح له أدنى فرق بينه وبين  
البلاغة .

فيقال في تعريف الأدب : أنه المؤلفات التي تكتب لكافحة المثقفين  
لتثير لديهم بفضل خصائص صياغتها صوراً خيالية أو انفعالات شعورية  
أو إحساسات فنية<sup>(٤)</sup> .

(١) السكاكى : مفتاح العلوم .

(٢) ابن وهب : البرهان في وجوه البيان ص ١٢٩ تحقيق د / حفني  
شرف – مكتبة الشباب .

(٣) عبد المتعال الصعيدي : بقية الإيضاح ٢ : ٢٥ - ٣١ .

(٤) د . محمد متذور – النقد المنهجي عند العرب ص ١٤ – دار نهضة  
مصر للطباعة والنشر .

وقيل أيضاً في تعریفه إنه : التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية — غایته الأولى: التصویر والتأثیر — تصویر المشاعر والأحساس والوجدانات التي تخالج نفس الأديب ، والتأثير فيما يطالعون عمله الأدبي ليشار كوه أحاسيسه ، وتعيد نقوسهم تمثيل التجربة الشعورية التي عانوها<sup>(١)</sup> .

فلا أرى أن هناك فرقاً يذكر بين تعريفات الأدب من حيث المضمون وإن كان بينها اختلاف من ناحية الشكل .

وبعرض تلك التعريفات على مراحل البلاغية السابقة يتبيّن لنا أيضاً أن المرحلة التي تنطبق عليها تلك التعريفات وتنسجم معها هي المرحلة التي امترجت فيها البلاغة بالأدب وصدرت عن الذوق في مؤلفات علماء أدباء عالجوا فيها قضيّاً البلاغة ومسائلها من خلال آثار الأدب المنظومة والمشرّفة .

وتبيّن في الوقت نفسه أيضاً أن أيّام مراحل البلاغة السابقة عن التألف مع تلك التعريفات هي المرحلة التي تحولت فيها البلاغة إلى قواعد جافة وقوانين منفصلة عن آثار الأدباء ، ويعني ذلك أن البلاغة في هذا الطور وفي تلك المرحلة تمضي في طريق بعيد عن الطريق الذي يرسمه لها تعريفها .

(١) أحمد أَحمد بدوى — من بلاغة القرآن ص ١٠٣ دار نهضة مصر.

(٦) — البلاغة

### **(الفَيْضُ الْثَالِثُ)**

#### **الهدف من دراسة البلاغة**

معظم كتب البلاغة قد يعنى بحديثها تتناول الحديث عن أهداف البلاغة بشيء من التحديد، ولعل أبرز كتاب يوضح أهداف البلاغة بصورة تعد أكثر شمولاً وأدق تحديداً كتاب:

« الصناعتين لآبي هلال العسكري » الذي يحدد البلاغة في مطلعه أهدافاً ثلاثة تقصد إليها وهي:

- ١ - هدف ديني: يتمثل في تدوين البلاغة القرآنية والوقوف على أسرارها . حيث تعد الوجه الأظاهر والأمثل لإيجاز القرآن .
- ٢ - هدف فقدي أو بلاغي: يتمثل في التمييز بين الجيد والردي من منشور كلام العرب ومتظاومه .
- ٣ - هدف أدبي: يتمثل في التدرب على صناعة الأدب وتأليف الجيد من المنشور والمنظوم .

ولما كانت البلاغة تحقق لدراسها الأهداف السابقة فقد جعلها « أبو هلال ، أبو وأم العلوم التي ينبعى على المرء تحصيلها والوقوف عليها بعد معرفته بالله سبحانه وتعالى .

ويقول في ذلك « اعلم عليك الله الخير ، وذلك عليه ، وقيمه لك ، وجعلك من أهله — أن أحق العلوم بالتعلم ، وأولها بالحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه .

علم البلاغة ومعرفة الفصلحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ،

الناطق بالحق ، الهادي إلى سبيل الرشد ، المدلول به على صدق الرسالة وصححة النبوة التي رفعت أعلام الحق ، وأقامت منار الدين ، وأزالت شبه الكفر بيراهينها ، وهتك حجب الشك يقينها ، وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخل بمعرفة الفصاحه لم يقع عليه بإعجاز القرآن من جهة مانحه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الإعجاز البديع ، والاختصار اللطيف ، وضنه من الحلاوة ، وجلله من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلامه وجزالتها ، وعذوبتها وسلامتها ، إلى غير ذلك من عناسته التي غير الخلق عنها ، وتحيرت عقولهم فيها . وإنما يعرف إعجازه من جهة غير العرب عنه ، وقصورهم عن بلوغ غايته في حسنه وبراعته . وسلامته وقصاعته<sup>(١)</sup> ، وكمال معانيه ، وصفاته أفالاته — وقبح لمعري بالفقير المؤثر في ، والقاريء المبتدئ بهديه والمتكلم المشار إليه في حسن مناظرته ، و تمام آلة في مجادلته ، وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب<sup>(٢)</sup> . ألا يعرف إعجاز كتاب الله تعالى إلا من الجهة التي يعرف منها الزنجي ، والنبطي<sup>(٣)</sup> أو أن يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبي ، فيتبينى من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هنا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله ومعرفة عدله ، والتصديق بوعده على ما ذكره ، إذ كانت المعرفة بصحة النبوة تتواءل المعرفة باقته جل اسمه .

ويقول عن المهدف النقدي : « وهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ، ومناقب معروفة ، منها : أن صاحب العربية إذا أخل بطلبه ، وفرط في القاءه ،

(١) النصاعة : الوضوح .

(٢) الصليب : الحال من النسب .

(٣) واحد النبط بفتحتين ، وهو جيل من العجم كانوا يتزلون بالبطائح بين العراقيين .

ففاتهاه فضيلته ، وعلقت به رذيلة فوته ، عني على جميع محاسنه ، وعني<sup>(١)</sup> .  
سائز فضائله ، لأنه إذ لم يفرق بين كلام جيد ، وأخر رديء ، ولفظ حسن  
وآخر قبيح وشعر نادر وآخر بارد ، بان وجهه ، وظهر تقصه .

«ويقول عن الطيف الأدبي: « وهو أيها إذا أراد أن يصنع قصيدة ،  
أو ينشئ رسالة ، وقد فاته هذا العلم ، فرج الصفو بالكدر ، وخلط الغرر  
بالغور<sup>(٢)</sup> ، واستعمل الوحشى العسكرى بجعل نفسه مهزأة للجاهل ، وعبرة  
للماقل ، وإذا أراد أيضاً تصنيف كلام متشرور . أو تأليف شعر مشظوم ،  
وتحفظى هذا المعلم ساء اختياره له ، وقبحت آثاره فيه فأخذ الردىء  
للرذول ، وتترك الجيد المقبول » ، فدل على قصور فمه ، وتأخر معرفته  
وعله — وقد قيل: اختيار الرجل قطعة من عقله ، كما أن شعره قطعة من  
عليه<sup>(٣)</sup> .

ولذا كانت الأهداف الثلاثة السابقة للبلاغة تختلف مع ترتيباتها  
السابقة ، فإن مراحل البلاغة التي مررت بها في نهاية البلاغة لا تتساوى فيما  
بينها من حيث تحقيق الأهداف مجتمعة .

لذا تمكينا دراسة البلاغة حيث امتهنت بالآداب في مؤلفات لاصحابها  
طبع أدبي وحس بلاغي من بلوغ الأهداف الثلاثة السابقة — بينما لا يبلغ  
بها دراسة البلاغة على منهاجها المتأخر المعنى بالقاعدة المجردة عن النص

(١) أي أعنى .

(٢) الغرة : التفيس من كل شيء ، والغرة : القدر .

(٣) أبو هلال العسكرى : الصناعتين ص: ٧-٩- تحقيق : على العجاوى .  
ومحمد أبو الفضل إبراهيم — ط عيسى الحلبي .

الأدب أكثر من الوقوف على بعض أسرار النظم القرآني وعلى شيء من أسباب جودة الأساليب أو رداءتها أما التدريب على تأليف الكلام الجيد مثوروه ومنظومه فلا يكفي مجرد الإلام بقواعد البلاغة ووعها لإدراكه وتحقيقه ولا سيما إذا كان العالم بذلك القواعد والملم بهما غير منها أصل التأليف الكلام وصنع الأدب ولم يرزقه الله حسا بلاغياً، أو طيباً أدبياً .

كما نستخلص من الأهداف الثلاثة السابقة أن البلاغة والأدب والنقد آنذاك كانت متصلة ببعضها تعاوناً جيداً على إخراج نص أدى جيداً ، ولم يكن كل منها منفصلاً عن الآخر ويدرس مستقلاً بنفسه كما هو واقع الآن ، وذلك يعني في الوقت نفسه أن ما ينادي به عدد من الباحثين للماصرين تحقيق التكامل والتآلف بين البلاغة والأدب والنقد ، ودراسة الثلاثة مترابطة ببعضها ليس أمراً بدعاً ولا شيئاً جديداً(١) وأنه كان في فترة من الفترات المموج الذي تعنى عليه البلاغة العربية .

(١) ومن هؤلاء المرحوم : «أحمد الشايب» ، الذي يرى أن علم البلاغة يجب أن يوضع وضعاً جديداً يلائم ما انتهت إليه الحركة الأدبية في ناحيتها : العلية والإنسانية بأن دخل في باين أو كتابين :

الأول : باب الأسلوب أو كتابه ، ويتناول دراسة : الحروف ، والكلمات ، والجمل ، والصور ، والقرارات ، والعبارات على أن تدرس درساً مفصلاً دقيقاً يعتمد على علوم : الصوت ، والنفس ، والموسيقى ، وما إليها مما يقوم الأسلوب على أيام صورة فنية أدبية — وفي هذا الباب أو الكتاب تدخل موضوعات : المعانٍ ، والبيان ، والتدبر لا على أنها علوم مستقلة ، بل على أنها فصول في باب الأسلوب يتناول بمحونها كما يتناول غيرها .

أما الباب الثاني أو الكتاب الثاني : فيدرس الفنون الأدبية وقوائمه ==

— شرآ أو ثرأ — يدرس أصول المقالة ، والخطابة ، والرسالة ،  
والجدل والوصف ، والرثاء ، والقصة وللحمة ، والتشيلية ، والتاريخ ،  
والتاليف ، إلى غيرها من هذه الفنون الأدبية التي ذُكرت بها الآداب  
العالمية ، وشرعت قواعدها ، ولم تحظى بلاغتنا النظرية [إلا بإشارات  
خاطفة لا تعنـ شيئاً .

أحمد الشايب — الأسلوب ص : ٤٣٤ ط سابعة

١٣٩٦ م ١٩٧٩

## الفصل الرابع

### آلات البلاغة

تناول عدد من المؤلفين في البلاغة قديماً وحديثاً الحديث عن آلات البلاغة، والمدة التي يتزود بها البليغ.

ويتفق معظمهم على أن تلك الآلات بصفة عامة تمثل في شتى موهبة أدبية، وثقافة واسعة ويتفقون كذلك في تفسير الموهبة وتحديد مصدرها لكنهم يختلفون بعض الشيء في تحديد جوانب و مجالات الثقافة الواسعة وذلك يرجع لنوع الفنون واختلافها من عصر لآخر ومن جيل لآخر.

ولم يقتصر العدد السابقة على البلاغيين، بل جعلها الأدباء عدة لهم، والنقاد جملوها عدداً لهم أيضاً بما يوكل لنا أن علوم البلاغة والأدب والفن الذي فصلت عن بعضها في الآونة الأخيرة، يؤكّد إلتحامها واجتماعها على هذه مشترك هذه الآلات المشتركة فيما بينها.

فيينا يعرض «ضياء الدين بن الأثير وابن سنان الخفاجي» للحديث عن تلك الآلات تحت عنوان: «صناعة تأليف الكلام»<sup>(١)</sup>، بينما لها

(١) ابن الأثير: المثل السائر ط قديمة - القاهرة ١٣١٢ مـ ، والجامع الكبير في صناعة المظوم من الكلام والمنثور ص: ٦ ، ٧ تحقيق د/ مصطفى جواد و د/ جيل سعيد مطبعة الجمع العلمي العراقي ١٤٨٥ هـ - ١٩٥٦ مـ - ومر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص: ٢٨١ ، ٢٨٠ تحقيق د/ عبد لل تعال الصعيدي - مكتبة صبيح ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ مـ .

«أحمد الشايب» في حديثه عن الأمور التي يلم بها الأديب ليق نفسه شر الأخطاء في التعبير<sup>(١)</sup>.

ويتناولها «أحمد بدوى» في حديثه عن العلوم التي لها صلة بالقدر الأدبي<sup>(٢)</sup>.

ويتفق المؤلفون السابقون وغيرهم على ضرورة توفر الطبع للبلينج قبل النقاوة الواسعة ويصور « ابن الأثير» ذلك بقوله «وملاك هذا كله الطبع ، فإنه إذا لم يكن ثم طبع لا تفني تلك الآلات شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

ويوضح قيمة الطبع وأهميته لصانع الكلام فيصوّره بالنار الكامنة في الزناد ، ويصور المعلوم الذي يلم بها الأديب أو البلينج بالحرائق<sup>(٤)</sup> ، والحداثة التي يقدح بها ، فإذا لم يكن في الزناد نار لا يغيد ذلك الحرائق ولا تلك الحديدة شيئاً<sup>(٥)</sup>.

فالبلاغة إذا عند « ابن الأثير» هي البلاغة التي تتفق مع تعريفات البلاغة وأهدافها السابقة وهي صنع المنشور والمنتظوم من الكلام كأدلة « ابن الأثير» على أهمية الطياع وعظم قيمتها بأنها هي التي تحدد الفن وال النوع الأدبي الذي يميل إليه صاحبه وينتج فيه ، وأنه لو لا اختلاف الطياع لما رأينا في الشعراء من يجيد في المدح دون الهجاء ، أو في الهجاء دون المدح ، أو يجيد في المراثي دون التهانى ، أو في التهانى دون المراثي ،

(١) أحمد الشايب : الأسلوب : ١٧ ، ١٨.

(٢) أحمد أحمد بدوى — من بلاغة القرآن ص : ١٩ — ٢٢.

(٣) المثل السائر . ط قديمة — القاهرة ١٣١٢ م . ص : ٣.

(٤) الحرائق والحرائق : موضع قمع فيه النار عند القذف .

(٥) ابن الأثير : الجامع الكبير ص ٦

و كذلك صاحب الطبع في المنشور<sup>(١)</sup> . وقد تأثر بكلام « ابن الأثير » السابق من المعاصرين المرحوم : « أحد حسن الزيات » ، فقرر أن البلاغة وهي تأليف الكلام البليغ تحتاج إلى : صبح موهوب وعلم مكتسب ، وأن الذي يحاول نيلها يأخذ الآلة وإدeman المزاولة وطول العلاج وهو لا يجد أصلها في فطرته أضاع جهده ووقته فيما لا رجع منه ولا طائل فيه<sup>(٢)</sup> .

ويدلل « الزيات » على قيمة الطبع وأثره بما يرى من قلة عدد الخطباء على الرغم من كثرة المحدثين ، وقلة البلاء على الرغم من كثرة الكتاب ، وندرة الرسامين للمرة على الرغم من كثرة عدد الرسامين ، وقدرة عدد الذين يؤلفون روايات غنائمة على الرغم من أن الموسيقيين يبدون بالآلاف في كل أمة<sup>(٣)</sup> .

ثم يعرّف « الزيات » « الطبع » وبين أنه هبة ونعمه من الله في قوله : « المراد بالطبع : ملكات النفس الأربع التي لا بد من وجودها في البليغ ، ولا حيلة في إبعادها لغير الخالق ، وهي : الذهن الثاقب ، والخيال الحصب ، والعاطفة القوية . والأذن الموسيقية<sup>(٤)</sup> .

هذا عن الطبع أما عن العلم المكتسب فإن الباحثين مختلفون في تحديدهم للعلوم والثقافات التي يلم بها البليغ المؤلف للكلام وأهمية كل منها وذلك كما قلنا يرجع لاختلاف أهمية العلوم والثقافات من عصر لآخر .

فابن الأثير يرى أن مؤلف الكلام بعد أن يتحققه الله طبعاً أديباً

(١) المثل التاجر ص : ٤

(٢) أحد حسن الزيات - دفاع عن البلاغة ص : ١١ مطبعة الرسالة ١٩٤٥ م .

(٣) المرجع السابق ص : ١٢

(٤) المرجع السابق ص : ٣١ ، ٣٠

في حاجة لأن يلم بكل فن ويقف على كل وجه من وجوه الثقافة مع الترکيز  
على ثمانية وجوه هي :

معرفة علم العربية من النحو والتصريف ، وما يحتاج إليه من اللغة ، ومعرفة  
أمثال العرب وأيامهم ، والاطلاع على تأليفات المتقدمين المنشورة منها والمتداولة  
ومعرفة الأحكام السلطانية من الأمة والأمارنة والقضاء والحساب وغير  
ذلك ، وحفظ القرآن الكريم ، وحفظ ما يحتاج إليه من الآيات الواردة  
عن النبي ﷺ . ومعرفة العروض والقوافي وذلكختص بالتأميم دون  
التأثر<sup>(١)</sup> .

و كذلك أشار « ابن سنان الخفاجي » من قبله في نهاية كتابه « سر  
الفصاحة » إلى أهمية تحصيل الوجوه السابقة بصفة خاصة ، والآلام بكل  
أنواع الثقافة بصفة عامة مع الطبع وعدم التكليف وبالجملة أن مؤلف الكلام  
لوعرفحقيقة كل علم ، واطلع على كل صناعة لأغير ذلك في تأليفه ومعانيه  
وألقائه ، لأنه يدفع إلى أشياء يصفها ، فإذا خبر كل شيء وتحققه كان وصفه  
له أسهل ، ونعته أمسك<sup>(٢)</sup> .

و جاء علماء الأدب والتقدم المعاصرون فلم يختلفوا على ضرورة المالمقاف  
الكلام بشتى أنواع الثقافات ، أو الأخذ من كل فن بطرف على حد قول  
« ابن خلدون » ، وذلك من غيرشك مع الطبع المهووب — كما لم يختلفوا على  
ضرورة التركيز على علوم محددة وهي علوم اللغة التي قواعدها إلى : نحو  
وصرف واشتقاق وأصوات ومن لغة وفقه لغة ولهجات ومعاجم — وأضافوا  
إلى تلك العلوم علوماً يعلم بها الأديب مثل علوم : النفس والأخلاق والمال  
والاجتماع وهي علوم موجودة ضمن تراثنا العربي لكنها تدرس الآن

(١) الجامع الكبير ص: ٦، ٧.

(٢) ابن سنان : سر الفصاحة ص: ٢٨٢.

يشئ من التحديد وتحت عنوانين متنقلة<sup>(١)</sup>، وقد حصر الأستاذ أحمد حسن الزيات ، العلوم التي ينبغي أن يلم بها طالب البلاغة في ثلاث دوائر هي : اللغة والطبيعة والنفس بعد أن يأخذ من كل في بطرى ، واراد باللغة : كل العلوم التي تعمل على سلامة الأسلوب وصفاته من نحو وصرف ولغة ومعان وبيان وبديع ، وبالطبيعة : علوم الجغرافيا والفلك والجيولوجيا وغيرها ، وبالنفس : علوم الأخلاق والحال والاجتماع والنفس .

ويدعو « زيات » طالب البلاغة إلى أن يدرس هذه العلوم دراسة تمكن وتخصص .

وأنه يقول عن الملام طالب البلاغة بكل وجه من وجوه الثقافة بصفة عامه وعن تخصصه وتمكنه من دراسة علوم : اللغة ، والنفس ، والطبيعة بصفة خاصة : آلة البلاغة الأخرى هي العمل بمعناه الأعم ، أو المعرفة بدلولاها الأشمل ، فالكاتب إذا كان ناقص العلم ، أو قليل الاطلاع يدركه الخفاف والتضليل ، فلا يكون في آخر أمره الآسرد ألفاظ ومقابل جمل ، ذلك أن معارف الكاتب هي منابع انتاجه وألوان المعرفة له كألوان التصوير للتصور يجب أن تكون كلها على الورقة قبل أن يقبضن على الرشة ، والمعارف لا تستفاد إلا بوصاله الدرس ، وادمان القراءة ، وأقل ما يجب على طالب البلاغة درسه هو : اللغة ، والطبيعة ، والنفس ... لأنها في رأينا أشبه بعلوم التخصص له ، والمفروض أن يخصها بطول النظر بعد أن يأخذه سطحه الأولى من ضروب الثقافة<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : أحمد الشايب : الأسلوب ص: ١٨ ، ١٧ ، وأحمد أحد بدوى : من بلاغة القرآن ص: ١٩ ، ٢٠ ، وفتحى فريه : المدخل إلى دراسة البلاغة ص: ٢٩ - ٥٨

(٢) أحمد حسن زيات : دفاع عن البلاغة ص: ٣٢ - ٤٠

ويرى الباحث أن تكليف طالب البلاغة الذي يوكل لتأليف الكلام  
البلين دراسة العلوم المتعلقة بال مجالات السابقة عند الزيارات وهي : اللغة —  
والطبيعة — والنفس — دراسة تخصص وتعمق شيء فوق الطاقة وفرق  
الإمكان — وأن المناسب والممكن أن يقتصر التخصص والتعمق على العلوم  
التي تؤثر مباشرة وعن قرب في سلامة الأسلوب وصفاته وهي علوم اللغة  
أما معداتها فعلم به النزاس المام معرفة وثقافة وسعة اطلاع لا المام  
تخصص وتعمق .

وذلك هو ما قوله يحيى بن حورة العلوى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ فقد قسم  
العلوم الى يتناهى دارس البلاغة اليه الى ثلاث مراتب : علوم لا اثر لها  
ولا ينفعها ، وعلوم لا بد منها وعلوم يستحسن الالامان بها ، وأردا  
بالعلوم التي لا بد منها علوم اللغة والنحو والتصريف<sup>(١)</sup> .

وقد أغفل «العلوى» الطبع فلم ينص عليه ، واكتفى فقط بالحديث  
عن العلوم والتخصصات الازمة لدارسى البلاغة وقسمها من حيث الأهمية إلى  
المراتب السابقة ، وذلك يعود في نظرنا الى غاية البلاغة وأهدافها في نظره ،  
اذ تتمثل أهدافها عنده في : الوقوف على الاعجاز البلاغى للقرآن الكريم ،  
وتمييز الفصيح وغير الفصيح من الكلام — أما صنائعه تأليف المنشور  
والمنظوم من الكلام فلم يذكره ضمن أهداف البلاغة<sup>(٢)</sup> .

(١) يحيى العلوى : الطراز ١ : ٢٣ - ٢٦ ط المتنفف - ١٩١٤ م

(٢) يقول العلوى عن ثمرة علم البيان : «اعلم أنه يراد لمقصدين : المقصد  
الأول منها : مقصد ديف وهو الاطلاع على معرفة أعيجاز كتاب الله ،  
ومعرفة معجزة رسول الله ﷺ ، اذ لا يمكن الوقوف على ذلك  
 الا باحرار علم البيان ، والاطلاع على غوره .

المقصد الثاني : مقصد عام لا يتعلق به غرض ديف ، وهو الاطلاع =

ولم يشر إلى الطبع الذي يعدل العدة الأولى والركبة الأساسية لتأليف الكلام، وذلك يدلنا على أن هناك فرقاً بين البلاغة بمعنى تأليف الكلام البليغ وبينها بمعنى مسائل البلاغة وقواعدها التي تمكن صاحبها من تفوق أمراء البلاغة وتوزير الجيد والردي من الكلام، والأولى منهاجاً وألاتها وعداؤها، ولثانية أيضاً : منهاجاً وألاتها وعلاقتها .

وبتقدير الحكم السابق وهو : أن هناك فرقاً في التراث البلاغي بين البلاغة ككلام بلغة، وبينها كقواعد وضوابط لمعرفة أمراء الكلام البليغ — ما أشار به الخطيب الفزوي في مطلع «الإيضاح» من العلوم التي تحدد عيوب فصاحه الكلام .

كامل الفحو الذي يحدد : ضعف التأليف والتعقيد اللفظي، وعلم الصرف الذي يحدد : خالفة القياس، وعلم اللغة الذي يحدد : الخطأ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، وعلم البيان الذي يحدد : التعقيد المعنوي ، والحس والمذوق الذي يحدد : التناحر (١) .

وقد قلنا إن الوقوف على هذه العلوم يعين دارس البلاغة على تحديد العيب في الأساليب وسبب خروجها من دائرة الفصاحة والبلاغة — لأن مجرد دراسة العلوم والتفسن منها لا يعين على تأليف كلام بلغة عندقدان الطبع وانعدام الملوهة .

---

== على أمراء البلاغة والفصاحة في غير القرآن في منتشر كلام العرب ومنظومه، فإن كل من لاحظ له في هذا العلم لا يمكنه معرفة الفصيح من الكلام والافصح ، ولا يدرك التفرقة بين البليغ والإبلغ الطراز: ١٣٣٥٣٢: ١

(١) عبد المتمال الصعيدي — بغية الإيضاح ١/٣١ ط سادسة .

وبذلك نستخلص من هذا الفصل ما يلي :

- ١ — أن هناك فرقاً بين البلاغة كفن يعتمد على الموجهة والثقافة الواسعة وينتهي بصاحبها إلى تأليف كلام بلينغ وبينها كلام لا يتجاوز قواعد البلاغة ولا يمكن صاحبها من صنع كلام .
  - ٢ — أن حظ البلاغة الأولى يتمثل في فترة النضج والازدهار لبلاغتنا العربية في القرنين الرابع والخامس للهجرة ، وأن حظ البلاغة الثانية يتمثل في فترة الجمود بدءاً من القرن السادس وما يليه .
  - ٣ — أن استمداد المدرس البلاغى من البلاغة الأولى يكتب الطالب فهو الذوق ومن البلاغة الثانية يكتبه تحديداً للأسباب وتميزاً للأسماء .
  - ٤ — أن قدان الطبع الأدبي يحرم كثيراً من ذارعى البلاغة من جنى عدد من نمار البلاغة وأهمها : الارتفاع بملكتهم النقدية والتقوية والعجز عن صنع كلام بلينغ .
- وبذلك ندرك صواب د سعد الدين التفتازانى ، وما بذلنا به كلامنا من أن كثيراً من علماء البلاغة والماهرين فيها لا يقتدون على تأليف كلام بلينغ .

### النهاية

ولانفلو في القول ، ونشتط في الحكم ، وتفعل كافعـل كـغير من علماء البلاغة والنقد المعاصرـن لنرى بـلاغـة المـتأخرـين بالـجـفـاف والـجـهـود وـتنـسب إـلـيـها : عـقـم الـأـذـواق وـفـسـاد الـطـبـاع إـلـى غـير ذـلـكـ من أـوـصـاف تـقـضـيـتـجـسـبـهاـ وـأـطـرـاحـهاـ وـإـنـماـ نـرـىـ آـنـ بـلـاغـةـ المـتأـخـرـينـ تـعـدـ رـوـحـ عـصـرـ وـفـكـرـ جـيلـ ،ـ وـلـانـغـلـوـ مـنـ إـلـاـفـةـ مـنـ حـيـثـ يـسـتـعـانـ بـهـاـ عـلـىـ تـقـيـيدـ الـمـطلـقـ وـحـصـرـ الشـائـعـ ،ـ وـلـوـمـنـ جـتـ بـلـاغـةـ المـتـقـدـمـينـ أـحـبـابـ الـأـدـبـ وـأـرـبـابـ الـذـوقـ لـأـمـرـتـ أـطـبـ الـتـمـارـ ،ـ حـيـثـ تـكـوـنـ قـدـ جـمـعـتـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـفـنـ وـبـيـنـ الـعـقـلـ وـالـذـوقـ .ـ وـهـذاـ خـيـرـ سـيـلـ لـإـصـلـاحـهـ وـتـحـقـيقـهـ لـأـهـدـافـهـ .ـ

### السرعة وبلاعة العمل الأدبي

«الحمد لله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، والصلة والسلام على خاتم الرسل سيدنا محمد — ﷺ — وهل آله وأصحابه ، ومن تبعهم بِإِحْسَانٍ .

وبعد :

فلا كان الناس يعيشون في عالم تعد السرعة أوضح معاناته، وأهم خصائصه، وكانت معاشر تلك السرعة على العمل الأدبي أكثر من منافتها ، وسبلاتها تفوق حمّاتها حيث تهوي بقيمةه ، وتفسد بلامنته ، وتذهب بأثاره كتبت هذه الصفحات في التنبية إلى أضنان التأني والتزوي ، والتحذير من عواقب التجلل والتسرع في صناعة العمل الأدبي عسى أن تعيد إليه مجدًا كان يصاحبه ، وبلاعة كانت قاجة .

« وما توفيق إلا به ، عليه توكل وإليه أنتب .

### العمل الأدبي والصناعات المختلفة :

إن الدور التي تقوم فيها لم تقم وحدها ، ولم ترتفع ذلك الارتفاع بين يوم وليلة ، ولكنها مرت في بنائها بمراحل متعددة ، وتعاقب عليها أرواح من العمال وأصحاب الحرف والصناعات المختلفة حتى وصلت إلى ماهي عليه وأصبحت صالحة للسكنى والإقامة ، وتلخص تلك المراحل المتشابكة في : تحديد المكان و اختياره — وإعداد شكل البناء وصورته — وتوفير المواد التي يعتمد عليها البناء — ثم قيام العمال والصناع على تجهيز البناء وإعداده .

وستترافق كل مرحلة من المراحل السابقة قدرآ من الوقت ، وتأخذ طاقة من الجهد انتزاعها على الوجه السليم ، وعلى قدر الجهد المبذول في إتمام المراحل تتعدد قيمة البناء المسائية والمتناهية ، ومدى صلاحيته واستمراره .

فنحن نرى من وقت لآخر أبنية تنهار بعد أيام من الانتهاء منها ، بل أخرى تسقط قبل إتمامها والفراغ من بنائها .

ويسكون ذلك الأسباب يائى في مقدمتها من غير شك التسرع والجهلة وعدم التأني في تنفيذ المراحل السالفة وتوفيق كل منها ما تحتاجه من وقت وجهد — وينطبق ذلك على كل الأعمال وجميع الصناعات .

والعمل الأدبي<sup>(١)</sup> من لحظة البدء فيه إلى حين الانتهاء منه ، أو من لحظة كونه فكرة عابرة إلى أن يصبح ثمرة فاضحة لا يختلف عن أى عمل ، ولا يفترق عن آلية صنعة ، من حيث إنه يعتمد على عناصر ، ويرى بمراحل لأبد أن ينال كل منها حقه الأولي ، ويحصل على صبيحة الأوفر من الاهتمام والعناية بصير وتبثت حتى يبلغ درجة الفضج ، ويحظى بمنزلة من الللاعنة .

وقد أجاد « ابن سنان الخفاجي » المتوفى سنة ٦٦٤ هـ في تحديد المراحل التي يمر بها كل عمل من الأعمال ومنها العمل الأدبي بخمسة أمور :

الموضوع ، والصانع ، والصورة ، والآلية ، والغرض .

(١) وهو التعبير عن تجربة شعرية في صورة موحية .

سيد قطب — النقد الأدبي — أصوله ومتاجهه — طبعة رابعة —

لبنان ١٩٦٦ م

(٧) — البلاغة

وقرر — رحمة الله — أن آية صناعة لا تبلغ درجة اكتهالها إلا إذا تمتلت فيها الأمور السابقة آخذه نصيتها من العناية والرعاية .

ووضح — رحمة الله — مكانة كل عنصر مما سبق وآثره في العمل الذي الذي ينتمي إليه ، وذلك بالتشيل بصناعة التجارة .

فذكر أن : الموضوع : يماثل الخشب في صناعة التجارة ، وأن الصانع يماثل : التجار .

وأن الصورة تماثل : مكان الجلوس إن كان المصنوع كرسياً .

وأن الآلة تماثل : المنشار والقدم وما يجري ، جرها .

وأن الغرض يماثل : الغاية التي صنع من أجلها الكرمي وهو الجلوس طبيه .

وبين « ابن سنان » مترفة هذه العناصر من العمل الادي قياساً على ما سبق .

فموضوع الكلام والكتابة في الألفاظ المؤلفة من أصوات وحروف .

وصانع الكلام هو : المؤلف الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض — كالشاعر والكاتب وغيرهما .

والصورة : كالفصل للكاتب ، والبيت للشاعر ، وما جرى جراها .

والآلة هي : طبع هذا الناظم ، والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك ، حيث لا يستطيع أن يعلم الشعر من لا طبع له وإن جهد في ذلك ، لأن الآلة التي يتوصل بها غير مقدورة مخلوق ، ويمكن تعلم سائر الصناعات لوجود ما يحتاج إليه من آلاتها .

وأما الفرض : فيحسب الكلام المؤلف ، فإن كان مدحـاً كان الفرض به  
قولاً ينفيه عن عظم حال المدحـ ، وإن كان مجمواـ فالضـنـ — وعلى هذا  
القياس كل ما يؤلف (١) .

فمني من كلام « ابن سنان الخفاجي » أن العمل الأدبي مثل كل  
الأعمال لا يبلغ نضجه ، ولا يوصف بالبلاغة إلا إذا اعتمد على الأمور  
السابقة مستوفـية نصيتها من التحقيق والتدقيق بصير وطـول آثارـ .

مع بشر بن المعتمر وأبي هلال العسكري :

ونظرـ لأهمـية الصـير وطـول الأـفـاتـةـ فـصنـاعـةـ الأـدـبـ وـمـاـ طـلـبـاـ منـ أـثـرـ بالـغـ  
فـتـحـقـيقـهـ لـأـهـدـافـهـ ، وـوـصـولـهـ لـغاـيـاتـهـ فـإـنـاـ رـأـيـناـ كـثـيرـآـ منـ عـلـامـ الـأـدـبـ  
وـبـلـاغـةـ يـرـسـوـنـ السـيـلـ وـيـحـدـدـونـ الضـوـاـيـطـ الـىـ يـخـتـيـبـاـ أـمـلـ الـأـدـبـ منـ  
مـنـ الشـعـرـ وـالـخـطـبـاءـ وـالـكـتـابـ وـغـيـرـهـ حـتـىـ يـكـتمـ عـلـمـهـ ، وـيـخـلـوـ مـنـ الـعـابـ  
وـالـآـخـدـ ، وـيـقـعـ مـنـ الـبـلـاغـةـ مـوـقـعاـ مـقـبـولاـ .

فـهـذـاـ بـشـرـ بـنـ الـمـعـتـمـرـ (٢)ـ ، فـوـصـيـتـهـ الـمـرـوـفـةـ لـأـهـلـ الـأـدـبـ يـجـدـ  
ثـلـاثـ مـنـازـلـ لـمـ يـقـبـلـ عـلـىـ الـكـتـابـةـ تـعـمـدـ كـلـاـ علىـ النـتـبـ وـالـتـرـوـيـ وـعـدـمـ  
الـتـسـرـعـ .

(١) إـذـارـ : إـبـنـ سـنـانـ الـخـفـاجـيـ — سـرـ الـفـصـاحـةـ — صـ ٨٢ـ وـمـاـ بـعـدـهـ .

تـحـقـيقـ : عـبـدـ الـمـتـعـالـ الصـعـيدـيـ — مـطـبـعـةـ صـبـيـحـ ١٣٨٩ـ هـ ١٩٦٩ـ مـ .

(٢) الـمـتـرـفـ سـنـةـ ٢١٠ـ هـ .

المنزلة الأولى :

أن يعنى الكاتب في كتابته عند حضور المعاش في ذهنه ظاهرة مكشوفة وقريبة معروفة ، واقياد الألفاظ له شريرة عذبة وخفية وسهلة .

المنزلة الثانية :

أن يؤجل الكتابة إلى ساعات ينقدح فيها فكره ويتباح ذهنه ، فتواته الفسر طائنة ، وتقبل عليه الألفاظ راضية ، وذلك عندما يجد نفسه متدفعاً للكتابة متسلكاً لمعانها متعملاً لأنفاظها .

المنزلة الثالثة :

أن يتوجه إلى صنعة أخرى غير صنعة الكتابة بفرغ فيها جهده ، ويعطياً وقته واهتمامه إذا لم تسعفه القرحة ، ولم توافه السليقة في وقت يشعر فيه بالراحة والهدوء جسدياً ونفسياً .

فلو تأمل الأدباء والكتاب المذاهل السابقة ، وحاولوا السير على دريجاً ذلك يعتقد كذا ذكرنا على الصبر والروبة لكان تتجهم الآذى في معظمهم بالغاً أهدافه محققاً لأغراضه كما تبدو قضية الصبر وعدم التسرع في معالجة آثار تآبه وأضنه في وصية « بشر » التي يخذر فيها الكتاب من الشروع في الكتابة في أوقات الندب وساعات تكاثر الحموم والصبر والنافق إلى أوقات يكون البال فيها مرتاحاً ، والتفكير صافياً ، خد من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إلىك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جواهرآ ، وأشرف حباً ، وأحسن في الأسماع ، وأحل في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ .

وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ شريف ، ومعنى بديع ، وأعلم أن ذلك  
أجدى عليك مما يعطيك يومك الأحوال بالسكن والمطاولة والمجاهدة ،  
وبالتكلف والمعاودة<sup>(١)</sup> .

كان بعد الروءة والثائق في نسج العمل الأدبي هي الزاوية التي يدور  
حولها كلام « أبي هلال العسكري المتوفى سنة ١٣٩٥هـ » ، فيليب الذي  
تحددت فيه عن : « صنعة الألفاظ وترتيب الألفاظ » ، وقد أفرد فيه فصلاً  
عن فضيلة الشعر وما ينتهي استعماله في تأليفه .

في بالنسبة لـ « الكتابة » يدعو الكتاب إلى :

استحضار المعانى في الذهن ، و اختيار الألفاظ المناسبة لها ، والإقبال  
على الكتابة عند النشاط وراحة الجسم والنفس ، والإيمان عند العصبة  
والملل ، وأن يراجع الكتاب ما كتبه عباره عباره ، فإذا بدا له لفظ أحسن  
من لفظ ، أو معنى بديع التقطه بسرعة قبل أن يفلت منه (إذا أردت أن  
تصنع كلاماً فاخضر معانيه بيالك ، وتتوقع<sup>(٢)</sup> له كرامه اللفظ ، واجملها  
على ذكر منك ، ليقرب عليك تناوحاً ، ولا يتبعك تطلبها ، واعمله مادمت  
في شباب نشاطك ، وإذا غشيك النور ، وتخونك الملائكة فامسك ، فإن  
الكثير مع الملائكة قليل ، والنفيس مع الضجر خسيس ، والخواطر كالباتجع  
يسفن منها شيئاً بعد شيئاً فتجد من الرى ، وتناول أذنك من المنفعة ، فإذا  
أكثرت عليها حتف ما قوتها ، وقل عنك غناوها ، وينبئي أن تجري مع  
الكلام معارضته .

(١) راجع : البيان والتبيين — الجاحظ — تحقيق : عبد السلام محمد  
هارون جبصة رابعة — القاهرة ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م — ج ١ ص ١٣٥  
وما بعدها .

(٢) أبي تحير — من توقع في الأمر : تأنيق فيه .

فإذا مررت بلفظ حسن أخذت برقبته، أو معنى بديع تعلقت بذيله وتحذر  
أن يسبقك فإنه إن سبفك تجت في تقبعه، ونصبت في تطلبها، ولعنة  
لاتتحقق على طول الطلب، ومواصلة المأدب، وقد قال الشاعر:

إذا ضيعت أول كل أمر  
أبْتَ أَبْغَاهُ إِلَّا التَّوَاءم<sup>(١)</sup>

وكذلك بالنسبة للشعر دعا أبو هلال «الشعراء إلى مناعة الضوابط»  
والإشارات السابقة، وإذا أردت أن تعمل شعرآً فاحضر المعانى التي يريد  
نظمها فسدرك، وأحضرها على قلبك، وطلب لها وزناً يناسب فيه ليرادها  
وقافية يحتملها، فمن المسافى ما تتمكن من نظمها وقافية، ولا تتمكن منه  
في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقاً وكافية منه في تلك، ولأن تعلو  
الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلساً «هلا ذا طلاوة ورونق خير من  
أن يملوك فيجيء كرا بلاه، ومتعدداً جلداً». فإذا عملت القصيدة فهذا وتقحها  
بالقام ماغث من أبياتها، ورث ورذل. والإقصار على ماحسن ونقم يزيد بال  
حرف منها بأخر أجود منه، حتى تستوى أجزاؤها، وتتضارع هوادها  
وإنجازها<sup>(٢)</sup>.

وذكر أبو هلال أن عدداً من الشعراء قد احتذوا بذلك المنهج،  
ونفذوا بذلك الضوابط بفامت أشعارهم خالية من المعايب والماخذ إلا في النادر  
لمثال: زهير والخطبة وأبو نواس والبحترى ومن هنا حذوه من عرفة  
بعيد الشعر، وقد كان هذا دأب جماعة من حذاق الشعراء من الحمدانين  
والقدماء منهم: زهير - كان يعمل القصيدة في ستة أشهر، ويهذبها في ستة

(١) أبو هلال العسكري، الصناعتين ص ١٣٩ - تحقيق: علي الجاوي  
ومحمد أبو الفضل إبراهيم طبعي الحلبي.

(٢) الصناعتين ص ١٤٥

أشهر ثم يظهرها ، فتسمى قصائده الحوليات لذلك ، وقال بعضهم : خير الشعر الحول المنقح ، وكان الخطبة يعمل القصيدة في شهر ، وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يرثها ، وكان أبو نواس ، يعمل القصيدة ويرثها ليلة ثم ينظر فيها فيلقى أكثرها ويقتصر على العيون منها فلهذا قصر أكثر قصائده .

وكان البحث ، يلقى من كل جانب قصيدة يعملها جميع ما يرتاد به ملرج شعره مهذبا ، وكان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل ، وكان يرثى بأول خاطر فتحى عليه عيب كبير ،<sup>(١)</sup> .

وهكذا نرى أن الضوابط السائدة لأهل الأدب من الكتاب والشعراء تعتمد في تنفيذها على الصبر والروية وتعهد العمل الأدبي بالتأمل والراجح ، والعودة إليه من لحظة لأخرى بالتدبيب والتتفريح حتى يبلغ درجة النضج ، ويتحقق الغرض الذي جاء من أجله بما يجعله جديراً بدخول دائرة البلاغة كما عرفها ، أبو هلال العسكري ، بأنها : ماتيلع به المعنى قلب اسامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ،<sup>(٢)</sup> .

أو كما عرفها الخطيب القرويبي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ يأنها : مطابقة الكلام لمقتضي الحال مع فصاحته ،<sup>(٣)</sup> .

(١) الصناعتين ص ١٤٧

(٢) الصناعتين ص ١٦

(٣) عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإلصاق ١ : ٢٦ ط سادسة — القاهرة .

مع «أحمد حسن الزيات»<sup>(١)</sup> :

ولما كان الصبر على صناعة العمل الأدبي الآثار الحيدة التي يتعمل  
أهمها في الباسه كسوة البلاغة، والتسرع وعدم التروى العاقد للوحمة  
التي تقتبى به إلى عدم الاحترام وضياع الطيبة، فقد كان الأديب المرحوم  
«أحمد حسن الزيات»، على حق وصواب عندما قرر أن السرعة وعدها  
الصحافة، والتغفل من أسباب التشكير للبلاغة وذلك في مطلع كتابه:  
«دفاع عن البلاغة»، تحت عنوان: «أسباب التشكير للبلاغة»، فقال:  
«السرعة، والصحافة، والتغفل هي البلايا الثلاث التي تكابدها البلاغة في  
هذا العصر»<sup>(٢)</sup>.

(١) ولد سنة ١٨٨٦ م، وتلقى العلم في الأزهر، واشتغل بتدريس  
اللغة العربية في المدارس الفرنسية، وحصل على جازارة الحقوق من باريس،  
كما درس اللغة العربية وأدبها في جامعة الأمريكية بالقاهرة، وانتدب سنة  
١٩٣٠ للتدريس بدار المعلمين العالية في بغداد، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٣  
وأنشأ مجله «الرسالة» عقب عودته، ثم انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية  
بالقاهرة ورأس تحرير مجلة الأزهر، واتقل — رحمه الله — في سنة ١٩٦٨  
ومن أهم آثاره: «وحي الرسالة في أربعة أجزاء — دفاع عن البلاغة —  
 تاريخ الأدب العربي كما ترجم إلى العربية»، «آلام فرتر» لجيتنه —  
 و«روفائيل» للأمرتين.

د. بدوى حلابة — البيان العربي ص: ٣٩٨ ط رابعة، مكتبة الأنجلو-  
المصرية ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م.

(٢) أحمد حسن الزيات — دفاع عن البلاغة ص: ٥ مطبعة الرسالة  
١٩٤٠ م.

فأوضح «الزيات» أن خطورة السرعة، كان على الفكر بصفة عامة، وعلى البلاغة بصفة خاصة.

فكانت جريرتها على الفكر أن استحال تقدير القيم التي يحتاج وذها إلى الروية والتأمل، أو الآلة والصبر، فظهر الخبيث في صورة الطيب، ودخل الردي في حكم الجيد، وقياس كل عمل بمقاييس السرعة لا بمقاييس الجودة<sup>(١)</sup>.

وأما جريرتها على البلاغة فإنها أصابت الأذهان فلم تعد تملك الإحاطة بالأطراف ولا الغوص في الأعماق، فإذ ذلك أكثر إنتاجها من الفناء الذي لا رجع منه، أو من الزيد الذي لا يقام له، كما أصابت الأفهام فلم تعد تصر على معاناة الجيد من بلين الكلام، فكان من ذلك انكياها على الأدب الخفيف الذي لا يغناه فيه ولا وزنه له، وأصابت الأذواق كذلك، فلم تغير الفروق الدقيقة بين الطعم المختلفة، فاختلط الحلو بالمر، والمر بالفح<sup>(٢)</sup> بالناضج.

وختم «الزيات» حديثه عن السرعة بأنها قد تقع خطأً في موازن بعض التقاد فيحسب أنها شرطًا في حسن الانتاج، وربما عابوا الكاتب المروي بالإبطاء، وغزوه بالتجوييد، أو سهوه بأقوال الحسكم: لا تطلب سرعة العمل وأطلب تجويده، فإن الناس لا يسألون في كم فرغ؟، وإنما يسألون عن جودته واقتائه.

(١) الفرج: بكسر الفاء البطيء الشامي الذي يسميه الفرس الهندي، وكل شيء من البطيء والفوaka لم ينضح فهو فوج بالكسر.

(٢) الرأى — مختار الصحاح ص: ٤٩١ مادة = ف ج ج ط أولى،  
١٩٦٧

أما عن « الصحافة » ودورها في أسباب التفكير للبلاغة فلأنهما تقوم بعرض الأخبار العالمية، وتسجيل الأحداث اليومية، ونشر الثقافة العامة، وهي في كل أولئك تناطib المخمور فلا مندوحة لها عن التبدل والتسط والإسفاف واللط مراعاة للموضوعات التي تكتب فيها ، والآيقات التي تكتب لها ، والسرعة التي تعمل بها .

وأما « التطفل » فإنه يتمثل في من يدعون صناعة الأدب ، ويضعون أنفسهم في صفو الأدباء بدون أن يطبعوا على الأدب ، أو يأخذوا بأسبابه<sup>(١)</sup> .

و واضح أن الأمور الثلاثة السابقة التي كانت وراء تدهور البلاغة في العصر الحديث في نظر المرحوم : « أحمد حسن الزيات » وهي : السرعة ، والتطفل والصحافة لم تخرج عن اذكوه البلاطيون والقاد العرب ، وإن كان وضعها تحت عناوين مختلفة يوم أنها إضافات جديدة ، فشكلاً عدم التروي ، في صنع العمل الأدبي غير عنها بالسرعة ومشكلة ممارسة أفراد لصناعة الأدب من غير استعداد وتهيؤ لها غير عنها بالصحافة . — ومشكلة دخوا الأسلوب وانقطاع شانتها عبر عنها بالصحافة . — وإذا كانت الأمور السابقة قد وردت عند السابقين مع أمور كبيرة ، فقد عدها « الزيات » وحدها المسئولة عن تدهور البلاغة في العصر الحديث .

و واضح أيضاً أنه لا يقصد البلاغة كعلم وقواعد ، وإنما يقصد الأعمال الأدبية التي تعد البلاغة أسمى غاياتها وأبعد مراميها .

---

(١) أقرأ : دفاع عن البلاغة من : هـ وما بعدها.

### الخاتمة :-

ولما كان الصبر على صناعة العمل الأدبي يتحقق له سمو المكانة وعقيق الاحترام والتقدير بما يكتبه من طول البقاء ويزيد من إفادة الدارسين منه وكثرة ترددتهم عليه ، فإن التسرع والتجاهل يضعفان من مكانته ويقللان من هيبته مما يجعله قصير العمر وقليل الإفادة وضياع التأثير<sup>(١)</sup>

ومناك خطورة السرعة ما يعد أشد مما سبق ، وذلك « ر. كودالباحث الأدبي وجوده » حيث يتحاشى الباحثونتناول موضوعات سبق دراستها وإن كانت الدراسة السابقة لم تأت بفوائد ولم تضاف جديداً»

(١) ويقول «الزيات» في ذلك : «دعك من هزلاء وأولئك واظفار أنت في الأسلوب الذي ارتضيته لنفسك فتمهد بالتصحيح والتفتيح ماسة ثابت ولا تحفل بالزمن النبوي تتفق ، فإنك تحلىن الخلق ليعيش ، وتبدع الآثر ليخلد ، والزمن لا يرقى على عمل يتم بدونه ، وما العبرة كما يقول : «بوفون» إلا صير طول ، ولا عليك أن يقال عنك : إنك بطيء يكر ، فإن زهرا ثم يعيه أحد بخطولياته ، وابن المقفع لم يغض من عيقرية قلة مؤلفاته ، وأبو نواس شير بالتخيز والتفكير ، كما شير « أبو العتاهية » بالارتفاع والاقتضاب . يقام شعره كله من ححر الكلام ومحثاره... وجاء في أخبار العلماء بأخبار الحشائط لتفصي قوله : «ذاخر» أي خس ، الشاعر اليوناني وأميروس ، ففخر « أي خس » ، على « أميروس » ، بكثرة الشعر وسرعة عمله وعيده ببطء عمله وقلة شعره فقال « أميروس » : بلئنا أن خنزيرة بانطاكيه غيرت لبزة بظاول زعن الخل وقلة الولد وافتخرت عليها بصدق ذلك فقالت اللبزة : « ولقد صدقت إلى ألاك الولد بعد الولد ، ولكنك أسد » فالروية والعمل والتدبب والتألق تشف عنها العبريات الخالدات للجاذبة الخالدين »

فلم يقد السابق ولم يبتكر اللاحق وأعتقد أن جريمة ذلك على الفساد خطيرة وعلى البحث شديدة .

وإذا كان صاحب العمل للتفن يلقى تقدير الناس وحدهم ويحظى باحترامهم وثباتهم فإنه من غير شك يكون أرفع قدرآ ، وأعظم ثوابا وأجرآ عند الله إله ، لا يظلم الناس شيئاً وصدق رسول الله ﷺ في قوله : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقوه» .

## حول الوجهة النفسية في الدرس البلاغي

تمهيد :

لقد تعاملت أصوات كثيرة في المسرح الحديث تدعو إلى تعاویر البلاغة وتقنادي بتعديلها ، وتنمية علاقتها بالأدب والنقد ، وتوثيق صيتها بالمجتمع من خلال شعراته وخطباته وكتاباته ، وقد بدا أنها أن دعوات أولئك الذين يشادون بالتجديد تتمثل في قالبين :

القالب الأول . مؤلفات بذاتها حول تجديد البلاغة ومنها : البلاغة المصرية لسلامة موسى ، ودفاع عن البلاغة لأحمد حسن الزيات ، وفن القول ، والبلاغة وعلم النفس ، والبلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها لأمين الخولي ، والأسلوب لأحمد الشايب وغيرها .

القالب الثاني : مؤلفات تتعلق ببعض علوم البلاغة وقضاياها ضمنها أحاجيمها كلاماً يدور حول تطوير البلاغة وتعديلها ومنها : النقد المنهجي عند العرب محمد متذور - والبلاغة : تطور وتاريخ لشوق ضيف ، والنقد الأدبي الحديث لأحمد كمال زكي - والصيغة البديعية في اللغة العربية لأحمد موسى - - والبيان العربي المدوى طباعة - والصور البينية ، والصور البديعية بين النظرية والتطبيق لحفني شرف ، وغيرها .

وقد تعددت اتجاهات أولئك المنادين بالتجديد فهناك اتجاه أولى ، وآخر ي يأتي ، وثالث تربوي . ورابع نفسي وهو الذي يدور حوله كلامنا<sup>(١)</sup>

(١) راجع تفصيل السكلام عدم عن تلك الاتجاهات في الصفحات : ٥ وما يليها من كتابنا : المدخل إلى دراسة البلاغة ، توزيع مكتبة الهيئة المصرية .

ستتناول بمشيئة الله : أعلام هذا الاتجاه ، وخلاصة آرائهم - وصدى ذلك المنهج في التراث العربي والبلاغي - ورأينا في ذلك مستمددين من الله العون والتوفيق .

الوجهة النفسية : أصحابها ومفهومها :

يرى أصحاب تلك الرجمة أن تطوير البلاغة وتجديدها يمكن تحقيقه بتنقيةِها من المباحث الفلسفية والمنطقية التي أغلقت كاملاً ، ووصلها بالحياة والمجتمع والاستعانة في دراستها بعلوم : النفس والأخلاق والجمال ، ومن أنصار تلك الوجهة : أمين ، والمقاد ، والرافعي ، وطه حسين ، وأمين الخولي ، وأحمد حسن الزيات ، ومحمد خلف الله وحامد عبد القادر ، وعز الدين إسماعيل وغيرهم .

أمين الخولي :

يرى المرحوم الشيخ أمين الخولي أن الاستعانة في دراسة البلاغة بعلوم النفس يمكنها من تحقيق أهدافها ، ومن مظاهر تلك الاستعانة : أن تقدم بين يدي الدرس البلاغي مقدمة نفسية يعرف الدارس فيها شيئاً عن الوجودان وعلاقته بظاهرة الشعور الآخرى من فاحية عمله الفنى ، ويعرف مثل ذلك عن الخيال ، والذاكرة والاحساس ، وعن النونق ، كما يعرف الكثير عن أمميات التواлиج الإنسانية من حب وبغض ، وحزن وفرح ، وغيرها وانتقام ، وما إلى ذلك مما هو مادة المعانى الأدبية السكريى في الآداب الإنسانية كلها (١)

ويرى الشيخ / أمين الخولي كذلك أن الأخذ بالمنهج النفسي في

(١) أمين الخولي - البلاغة وعلم النفس - بحث مستخرج من كلية الآداب ص: ١٤٦ - ١٤٨ - المجلد الرابع .

دراسة البلاغة من أفضل السبل لتحقيق الهدف الديني من دراستها وهو : تذوق وتقدير أسرار القرآن البلاغية التي تعد الوجه الأساسي لإيمانه فقول في ذلك : « وأبعد من ذلك وأعمق أن قدرتنا صلة البلاغة بعلم النفس سيهدينا في بحث مسألة قديمة جليلة الخطركات متذوق الدهر مخددة غاية البحث البلاغي وموجه دراسته ، تلك هي مسألة إيمان القرآن التي نعرف جميعاً أنها أفل ما أثر في البحث البلاغي ، وحياة البلاغة العربية » ، وتقدير ما كان ولا يزال طامن خطراً دينياً . . . إن هذا القرآن من حيث هو في أدق معجز ، ثم من حيث هو هدى وبيان ليدار الأمر فيه إلا على سياسة التفوس ورياستها . . فالنظر الصائب إليه ، والفهم الصحيح له لا يقوم إلا على إدراك ما استخدمه من ظواهر ذاتية وفراء ميس روحية ، أدار عليها بيانه مستدلاً وهادياً ومقنعاً ومجادلاً ومشيراً ومهدداً ؛ فالآمور النفسية لا غير يتعلّل لإيمانه وإطانته ، وتكبيه وإشارته ، وإجلاله وتقديره ، وتسكيره من إعانته ، وتقسيمه وتفصيله ، وترقيبه ومتاسباته ، وما قام من تعديل هذه الأشياء وغيرها على ذلك الأصل فهو الدقيق المتصبّط ، وما جاور ذلك فهو الاعباء والتحمل أو هو أشبه شيء به (١) .

ونضم رأينا إلى رأى المرحوم الشيخ / أمين الحلوى بالتكليل والتحفيف من الأبحاث المنطقية والفلسفية التي أفردت آنامل البلاغة وجعلتها لا تقوى على إدراك المنشودة من دراستها على الوجه اللائق ، لكننا نختلف معه فيما يُحده على البلاغيين من عدم توفيقهم في تحديد المسار البلاغي لتأكيد اندخ بما يشبه الدلم ، وأبلغيه الجاز على الحقيقة والكتابية على التصریح (٢) .

(١) أمين الحلوى : مناهج تحديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ٢٠٣ - ١٩٩ ص

(٢) أمين الحلوى : البلاغة وعلم النفس ١٤٧ - ١٥٢

ومنى أن البلاغيين كانوا موفقين فيما افتوا [إليه من تحديد الأسرار البلاغية لذاك المدح بما يشبه النم ، وأبلغيه المجاز على الحقيقة] ، والكتابية على التصریح . وورد هذا التوبيخ في نظرنا إلى المشتوى النفسي الذي أبرزوا به تلك الأسرار .

#### أحمد حسن الزيات

أما المرحوم الاستاذ د.أحمد حسن الزيات ، فإنه يعتمد في الاستعارة بالمنهج النفسي في دراسه البلاغة على أن ذلك هو أحسن السبل لمعرفة الفروق الدقيقة بين أحوال المخاطبين حتى يحيي الكلام معايضاً تماماً المطابقة لمقتضى أحوالهم ومن قوله في ذلك عن النفس التي جعلها أحد مجالات ثلاثة يجب على حالب البلاغة دراستها مع : اللغة ، والطبيعة ، وأما دراسته للنفس فلأنها الينبوع الرئيسي خرى به الشعر والتئر من مختلف الفرات والعواطف والأفكار والاحساسيـن ، ومعرفة الينبوع في مصدره ومداه شرط في معرفة ما يصدر عنه على حقيقته وطبيعته وأثره وجواهره وإلا كان مدار البلاغة على مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال فإن إدراك الفروق الدقيقة بين الحالات المختلفة للمخاطب ، وصياغة الكلام على قواليب المقتضيات المناسبة للخاطب ، وتصوير الأخلاق على نحو يغري بالخير أو يبعد من الشر ، والقدرة على خلق الحال في الأسلوب ، أو التعبير بما يعلقه الجمال علينا من الموارد ، كل أولئك يستلزم دراسة خاصة لعلم النفس وعلم الأخلاق وعلم الجمال<sup>(١)</sup> .

(١) أحمد حسن الزيات : دفاع عن البلاغة ص : ٣٩ ، ٤٠ ، مطبعة الرسالة م ١٩٤٥

محمد خلف الله

كذلك يرى المرحوم الدكتور / محمد خلف الله أن هذا المنجز هو المنجز الأفضل لإعادة الازدهار إلى الأدب والنقد ، وفي اعتقاده أنه لن يتضمن التحرر من نير البلاغة الشكلية ، والعودة بالفقد العربي إلى وظيفته الجوهرية - من حسن فهم للنص الأدبي ، وختنوع لتوسيع تأثيره ، ومشاركة لنشئته في تجربته ، وإدراك لما بين الأدب والحياة من صلات إلا على أساس من فلسفة ذوقية نفسية شاملة تغير السبيل أمام الناقد ، وتوسيع آفاقه ، وتعيد التجربة الإنسانية طابعها الأصيل .<sup>(١)</sup>

حامد عبد القادر

والمرحوم الدكتور / حامد عبد القادر من أنصار ذلك الاتجاه ، ودعم الأدب والبلاغة بقواعد علم النفس فائلاً في ذلك : « فالآداب فن من الفنون التعبيرية الجميلة ، أو هو نوع من أنواع الاتصال الإنساني الرائع الذي يوصف بالجمال ، ويقصد منه التعبير عن مشاعر النفس ، والتأثير في الوجدان والعاطفة والخيال ... وهو فن من الفنون الراقية ، وكل فن هذا شأنه لا ينهض ولا يرق إلا بالاستناد بذور العلم ، والاهتمام بأصوله وقواعده ومن أهم القراءات التي تعنى الأدب وتثير له السبيل قواعد علم النفس »<sup>(٢)</sup> .

(١) محمد خلف الله أحسد - من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده - للقديمة .

(٢) د/حامد عبد القادر - دراساته في علم النفس الأدبي ص: ١٤-١٦ المطبعة الموزعية .

(٨ - البلاغة)

عز الدين إسماعيل

ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل، أن العلاقة بين الأدب وعلم النفس يتبع أن تستمر ولا تقطع لأن كلاً منها يترافق الآخر ويتأثر به فاما في ذلك : « فالعلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات ، لأنها ليس هناك من يشكّرها ، إن النفس تصنّع الأدب ، وكذلك يصيّح الأدب النفس ، النفس تجمع أطراف الحياة لكي يصيّح منها الأدب والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيّع جوانب النّفس ، والنّفس التي تتلقّى الحياة تصنّع الأدب هي النفس التي تتلقّى الأدب لتصنّع الحياة »<sup>(١)</sup>.

ويعد أن عرضنا فيها سبق من خلال فكر هؤلاء الأعلام وجهة نظرهم في الربط بين البلاغة وعلم النفس والأخذ بالمنهج النفسي في دراسة البلاغة ترى أن استعانته بالعلوم ببعضها أمر تقره حقائق العلم والثقافة فلا ضير من تلك الاستعانتة إذا تحققت على النحو الذي يضمن للعلوم استقلالها وتحقق لها أهدافها الأساسية التي وضعت لها ولذا فإنني اتفق مع المرحوم الدكتور / محمد متذور في أن تكون المعرفة النفسية التي ينتفع بها في دروس البلاغة والقد كالمضيء الداخلي الذي يشع من نفس الناقد، فيعينه على استخلاص أضاليل الأدب الخاصة ، ولكن في غير إقحام هذه المعرفة على الأدب ونقده ، لأن الأدب منيع لشكل تلك المعرفة<sup>(٢)</sup>.

ومن خواطر إطلالى العنان للعلاقة بين البلاغة وعلم النفس أن يفقد

(١) د / عز الدين إسماعيل — التفسير النفسي للأدب ص : ١٤-١٦ ط دار المعرفة .

(٢) د / محمد متذور — النقد والنقد المعاصرون ص : ١٠٤ ط نهضة مصر .

درس البلاغة قيمته ويفوّب وسط نظريات علم النفس وقضايا المتشعبية كما يقر ذلك الدكتور «ما هو حسن فهمي في قوله: «إن خطر هذه الدراسات إن استبدلت بالنص الأدبي أنها تجعلنا ننسى أن تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية هو وظيفة النقد الأدبي»، حين يتفق في تطبيقات نظريات علم النفس، أو تحليلات مبنية على تلك النظريات تستوى فيما دلالة النص الجيد ودلالة النص الرديء، ومن هنا وجدنا كل هذه الدراسات المستفيدة من علم النفس نظرية عصبة لم تحاول أن تلنج إلى النص فترين ما فيه من إبداع وما فيه من إشارة الجمال التي تحبب الفن إلى القلوب، والتي هي سر خلود الفن ومصدر تأثيره»<sup>(١)</sup>.

(١) د / ماهر حسن فهمي — المذاهب النقدية ص: ١٧٤ مكتبة  
الهيئة المصرية.

## المنهج النفسي في التراث البلاغي

وبالتحقيق يتبيّن لنا أن ما ينادي به أنصار الوجهة النفسية السابقون ويعدوه سبلاً مهدأً لإصلاح مسار المدرس البلاغي وتحقيقه لأهدافه ليس جديداً، فإن بلاغتنا العربية لم تتعزل في أي جانب من جوانبها عن النفس، بل كانت دائماً وثيقة العلاقة بالنفس فيما أثر لها من تعريفات، وما وضع لها من قواعد، وما أبرز من أمصار وسنتى أن علاقة البلاغة بالنفس تمثلت في جوانب متعددة منها:

### ١ - معنى البلاغة :

كان حظ النفس واضحأً فيما أثر من تعريفات البلاغة عند قدامى البلاغيين ومتآخريهم، نلمس ذلك واضحأً في تعريف العسكري: «البلاغة كل ماتبلغ به المعنى قلب السائع فتمكّنه في نفسه لفسكتة في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن»<sup>(١)</sup>.

وندرك مراعاة المتكلم البليغ لأحوال المخاطبين وتفوّهمهم فيما أثر عن حكيم الهند:

«أول البلاغة: اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح، متخير المفطر، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق»<sup>(٢)</sup>.

(١) أبو هلال العسكري — الصناعتين ص ٨ ط أولى

(٢) المرجع السابق ص ١٠

أما تعرّف للتأخر في البلاغة وتفسيّرها فقد بين عز، مراعاة أحوال النفس بحيث تشرك كل فنون البلاغة في ذلك فعرفوا الكلام البليغ بأنه: «ما جاء معايناً لمقتضى الحال مع فصاحتها، وأباوا عن الأحوال ومقتضياتها وصوغ الكلام وفقاً لتلك المقضيات بقوّتها»؛ ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متباينة، فقام التشكير بيان مقام التعرّيف، وقام الإلحادي بيان مقام التقديم، وقام القصر بيان مقام خلافه، وقام الفصل بيان مقام الوصل، وقام الإبهاز بيان مقام الإطباب والمساواة، وكذا خطاب الذكي بيان خطاب الغبي، وكذا التسلل كله مع صاحبها مقام... ولارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمقتضاه للاعتبار المناسب، وإن اخراجه بعد مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم حيث يقول: «النظم تأتي معنى التحوار فيما بين الكلمة على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الأمراض البلاغية للتراءٰ كيب وفنون البلاغة :

وذلك مجال ثان من الحالات التي يظفر فيها بوضوح العلاقة الوثيقة بين البلاغة والنفس - عند إبرازهم الأمراض البلاغية للتراءٰ كيب وفنون البلاغة - كإفادة التقديم التقوية والتأكيد من ناحية نفسية تتمثل في سكون النفس وأطمئنانها وتمكين المعانٍ منها لوصولها إليها بعد تشوق وإثارة... ويصور ذلك «عبد القاهر يقوله: «فإن قلت: فمن أين وجب أن يكون قدّيم ذكر

(١) بنية الإيضاح ٢٦، ٢٧.

الحدث عنه بالفعل أكد لإثبات ذلك الفعل له وأن يكون قوله : « بما يلسان المجد ، أبلغ في جعلها يلسانه من أن يقال : « يلسان المجد » ، فإن ذلك من أجل أنه لا يوقى بالاسم معنى من العوامل إلا الحديث قد قوى إسناده إليه ، وإذا كان كذلك فإذا قلت : عبدالله فقد أشرت قليه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه فإذا جئت بالحديث قلت مثلاً : قام أو قلت : خرج أو قلت : قدم فقد علم ما جئت به وقد وحات له وقدمت الأعلام فيه فدخل على القلب دخول المأوس به وبقائه قبول المهم له وذلك لا محالة أشد لقيوه وأدنى للتبه وأمنع للشك وأدخل في التحقيق . وجملة الأمر أفق ليس بإعلامك الشئ بفتحة غفلا مثل إعلامك له بعد التنبية عليه والتقدمة له ، لأن ذلك يجرى بجرى تكثير الأعلام في التأكيد والاحكام ؟ ومن هنا قالوا إن الشئ إذا ضهر ثم فسر كان ذلك أثغم له من أن يذكر من غير تقدم إخبار » (١) .

كما تتمثل تلك العلاقة بوضوح في الأمصار البلاغية لمعظم فنون البلاغة كأقاف ، الالتفاتات ، الذي يتمثل السر البلاغي له فيما يحدنه النفس من توسيع ويدخله عليها من بهجة ، وإبعاد الملل والأسأم عنها ينقل الكلام من أساليب لآخر ، ويصور الخطيب ، ذلك السر البلاغي للالتفاتات نقلاب عن « الزخرفي » يقوله : « واعلم أن الالتفاتات من حاسن الكلام ، ووجه حسنه على ما ذكر الزخرفي هو أن الكلام إذا قل من أساليب إلى أساليب ، كان ذلك أحسن تعريضة لنشاط السامع وأكثر إيقاطا للإصغاء من إجرائه على أساليب واحد . وقد تختص مواقعه بلطائف كما في سورة « الفاتحة » فإن العبد إذا افتح حدم مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكرة لما هو فيه يقوله : « الحمد لله ، الدليل على إختصاصه بالحمد وأنه حقيق به وجد من نفسه

(١) عبد القاهر : دلائل الإيجاز ص ٩٧ ط ثانية تحقيق أحمد مصطفى المراغي .

لامحالة عمركا الإقبال عليه ، فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله : « رب العالمين » ، الدال على أنه مالك للعالمين لا يخرج منهم شيء عن ملكوته وربو بيته قوى ذلك الحرك ، ثم إذا انتقل إلى قوله : « الرحمن الرحيم » ، الدال على أنه منهم بأفواع النعم : جلالها ودقائقها تضاعفت قوة ذلك الحرك ، ثم إذا انتقل إلى خاتمة دنه الصفات العظام وهي قوله : « مالك يوم الدين » ، الدال على أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء تناهت قوته ، ووجب الإقبال عليه وخطابه بشخصيه بشاعة المضوع والاستعمال في المهمات » (١) .

وهذا نرى أنه ما من فن بلاغى إلا يمس جانبًا من جوانب النفس ويعالج حالة من آخرها .

#### ٣ - البيئة والطبع وأثرهما في اختلاف الأساليب :

وهذا الجانب من الجوانب التي تبرز بوضوح قوة العلاقة والارتباط بين البلاغة والنفس ويعنى : النفار في آثار الشعراء والكتاب والحكم عليها والتعرف على خصائصها من خلال الوقوف على : بياناتهم والتعرف على ميولهم واتجاهاتهم ، وقد كان القاضى على ، بين العزيز الجرجانى من أبرز البلاغيين والقادة القدامى الذين علما بذلك الجانب فى كتابه ، الواسطة بين المتنبى وخصومه ، .

لذ يقرر « القاضى الجرجانى » أن اختلاف أحوال الشعر من رقة

(١) بنية الإضاح ١: ١٥٦-١٥٨

وصلابة ، وسهولة ووعورة ترجع إلى اختلاف الطياع «فإن سلامه الطبع  
ودمامة الكلام يقدر دمامة الخلقه ، وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك ،  
وأبناء زمانك ، وترى الجاف الجلف منهم كث الأفاظ ، معد السكلام ،  
وعر الخطاب ، حتى إنك وجدت ألفاظه في صورته ونفته في جرسه  
ولحناته»<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا النهج يوضح «القاضي الجرجاني» العناصر الازمة للنتاج  
الشعرى من : طبع وروية وذكاء ودرية ، ثم يفيض فتوبيخ اختلاف  
الطياع وما يتربى على ذلك الاختلاف من أثر في الشعر — فلالة  
اللقطة تتبع سلاسة الطبع ، ومن شأن البداوة أن تحدث شعرآ جافيا باديا  
«وترى رقة الشعر أكثر مما تأتيك من قبل العاشق المتييم ، والغزل المتهالك ،  
فإن انفقت لك الدمامه والصباية ، وانقضى الطبع إلى الغزل ، فقد جمعت  
للك الرقة من أطراقها»<sup>(٢)</sup> .

فهذا اللون من التفكير ، وذلك الجانب من علاقة البلاغة بالنفس  
الذى يبرره «القاضي الجرجاني» يكاد يذكرنا المنزع السيكولوجي الحديث  
في تحليل المواهب عامة ، ومواهب الأدب خاصة<sup>(٣)</sup> .

(١) القاضي الجرجاني: الوساطة ص ١٧ - ٢٤

(٢) المرجع السابق

(٣) د/ محمد خلف الله — من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده

#### ٤ - التنون الأدبي :

وهذا جانب من الجوانب التي توضح علاقة البلاغة بالنفس في التراث البلاغي وذلك هو : التنون الأدبي الذي ثار كه بوضوح في كتب البلاغة والقدر متقدمها ومتاخرها .

فالقاضي الجرجاني يورد النصوص العربية المتفق على جواهراً ثم يعقب عليها قوله : « تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده ، وتفقد ما يتدخلك من الارتباط ، ويستخلفك من العارب إذا سمعته »<sup>(١)</sup> .

وهذا أبو « الحسن الرماني » الذي كان كثيراً ما يكشف لنا عن الآخر البيان للتعبير القرآني في المواتيف والنقوس ، وعدم اقتصراره على تحديد المعنى الحقيق والمجازي للأسلوب القرآني ، لكنه بين فضل المجاز على الحقيقة وأثره في الوجدان كقوله في : « والصبح إذا تنفس »<sup>(٢)</sup> ، تنفس الصبح حقيقته : « إبتدأ ، غير أن في التنفس معنى الراحة ، كما أن فيه أمارة الحياة والحركة »<sup>(٣)</sup> .

ولقد بلغت طريقة التنون الأدبي والتأمل الباطني والإهتمام بالنفس ومراعاة أحواها المختلفة القمة عند « عبد القاهر » ، فالفسكرة الرئيسة التي تبرز في كتابه « أسرار البلاغة » والتي يصح أن ندعها نظرية في الأدب هي : أن مقياس الجودة الأدبية : تأثير التصور البنيانية في نفس متذوقها ، والفسكرة في ذاتها فكرة إنسانية قديمة ؛ فقد قتبه الناس منذ المصوّر

(١) القاضي الجرجاني - الوساطة ص : ٣٧

(٢) سورة التكوير : ١٨

(٣) د/ كامل الحول : أثر القرآن في تطور البلاغة العربية ص ١٠٦ - ١٠٨

البعيدة إلى أن الأدب نوع من الإيمان ، آلة للتواصل الفكري ، وأن نجاحه يكون على قدر قيادته إلى عقول ساميّة وقلوبهم ، وهذا هو ماقام به عبد القاهر ، في فكرة التأثير الأدبي ، فقد عرضها أولاً جرياً على نهج العلماء في عرض نظرياتهم ، ثم رسم الخطة لتحقيقها ، فنادى بها في الجناس والخشو والطابق وما إليها ، ثم فصل القول فيها تفصيلاً بارعاً في أبواب : التشريع والتخييل والإستقراء ، وفده النظرية الثانية في جودة الأدب جزء من تفسير « سيكولوجى » أعمم يطبع كتاب « الأسرار » كله بما فيه ، فالمؤلف لا يقترب يدعوك بين لحظة وأخرى ، إلى تجربة الطريقة النفسية التي يسمى بها الحديثون « الفحص الباطنى » ، وذلك أن تقرأ الشعر وترافق نفسك عند قراءته وبعدها ، وتأمل ما يعروك من المزاج والإرتياح والعارب والاستحسان وتحاول أن تفكّر في مصادر هذا الإحساس<sup>(١)</sup> .

إن المنهج النفسي في فقههم بلاغة النص الأدبي وتلقيه أسراره متبع تمنياً تماماً في دراسة « عبد القاهر » حتى إن نظريات علماء النفس تجيء مؤيدة منهجه ومقيدة مسلكه ، وإذا كان « عبد القاهر » لم يذكر شيئاً ذات قيمة عن العوامل التي تتعلق بالنفس وتوثر فيها كالبيئة وتأثيرها على الذوق وغير ذلك مما عرض له من سبقه يتبع كالقاضي البرجاني وأى هلال العسكري فلم يقل السر في ذلك أن تلك الدراسات أو كثيرة منها تناولها الجاحظ والأمدي والقاضي البرجاني وغيرهم بالقدر الذي تتحتم طبيعة النقد والأدب ، وذلك في دراستهم للشعر والشعراء ، واختلاف يئاتهم وعصورهم وأحوالهم مما يجعل تناولها مرة أخرى ثانية لا يبرر لها ، ولا قضل وراءها<sup>(٢)</sup> .

(١) د / محمد خلف الله — من الوجهة النفسية ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) د / محمد نabil — نظرية العلاقات ص ١٠١ دار الطباعة الحمدية .

أما تأكيد نظريات علماء النفس لمخرج « عبد القاهر » فيصوّره ما ورد في مجلة الرسالة للأستاذ / أمين محمد عثمان تحت عنوان : « كنوز مطوية في البلاغة العربية » من قوله : « لا يسمك وأنت تجعول في ميدان الدراسات النفسية الحديثة ، وتغوص في بحر الثقافة الأوروبية الخضم إلا أن تعرف لعباقة العرب بفضل السبق في هذا الميدان »، وتؤمن إيماناً يان في التراث العربي العريق كنوزاً ملهمة تحتاج إلى من ينقب عنها ، ويخرجها من كمّوف النسيان إلى عالم النور والعرفان، لقد كان علم النفس القديم يرى أن إدراكنا للعالم الخارجي يبدأ بالاجراء والتفاصيل ، ثم يربط بين بعضها وبعض حتى يتّألف السكل ، فلأنه على هذا الرعم حينما ترى الشخص تبدأ في إدراك أجزاءه أولاً ، فإذا كررت النظر أدرك الشخص في جملة وهبته ، وعلى هذا الأسلوب سرنا ولا زلتنا تسير في تعليم القراءة والكتابة على الطريقة الأبجدية ، فتبدأ بتعليم الطفل حروفاً ثم كتابات ثم جملة .

فلا ظهر علم النفس الحديث ، وبرغمت في أوائل القرن العشرين « مدرسة الصيغ الإيجالية »، قلبت هذا الوضع رأساً على عقب ، وقامت بتجارب شتى دلت كلاماً على أن الإدراك عند الإنسان والحيوان يسير من الجمل إلى المفصل ومن السكل إلى المجرى ، على العكس مما تقوله الزيادة القديمة ، ولو أنك أقيمت نظرية على شخص أو على صورة لكان أول ماتراه من الشخص شكله العام ، وأول ما تأخذنه عن الصورة اقطاباً بجملاً عاماً ، فإذا أطلت النظر والتأمل ، أو دعتك ضرورة عملية إلى التحليل ، أخذت تفاصيل الشخص أو الصورة تثب إلى عينيك واحدة بعد أخرى ، وهذه النظرية على جدتها وقرب عهدها بالعصر الذي نعيش فيه ليست بالنظرية المبتكرة ، ولا هي بالرأي المخترع كما يدعى بعض علماء أوروبا والمعاصرين .

ففقد سبق إلهاه عبد القاهر الجرجاني «إمام البلاغة في عصره» منذ تسع قرون، وأعماك تفرق في العجب إذا علمت أنه لم يخترم من منه النظرية حرفاً واحداً وإنك ما ذكره في كتابه «أسرار البلاغة» في معرض حديثه عن التشبيه البليغ «إنما نعلم أن الجملة أبدآً أسبق إلى التفوه من التفصيل، وأنك تجده الرؤبة نفسها لا تصل بالبدعة إلى التفصيل، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر»، ولذلك قال العرب: «النظرية الأولى حقاء، وحالاتي يصف الشيء على غير حقيقته»؛ فلأن لم ينعم النظر ولم يستقص التأمل، وهكذا الحسم في السمع وفي غيره من الحواس؛ فإنك تتبين من تفاصيل الصوت بأن يعاد عليك حتى تسمعه مرة ثانية مالم تعيشه بالساع الأول، وتدرك من تفصيل حلم المنوّق بأن تعييه إلى الإنسان ما لم تعرفه بالذوق الأول، ويؤدّاك التفاصيل يقع التناقض بين رأي ورأي، واسمع واسمع ومسكنا يصل «عبد القاهر» إلى قوله:

«والامر في المقولات كذلك، تجده الجملة أبدآً هي التي تسبيح إلى الأوهام، وتقع في المخواطر أولاً، وتتجدد الفاصلـات مغمورة فيها، وترادها لا تختصر إلا بعد إعمال الروية والاستئمان بالذكر»<sup>(١)</sup>.

والزخارشـي في كتابـه الذي يـعد تطبيـقاً لـنظـريـة النـظم عـند «عبد القـاهر» كان مـجلـباً في إيجـامـات الـألفـاظ والـترـاكـيب وظـلـاطـاـ المـعنـوـيـة والـنـفـسـيـة كـتـوضـيـحـ الفـرقـ بـيـنـ «كـسبـتـ» وـ «أـكتـسبـتـ» فـ قـولـهـ تعالـىـ: «... هـا

(١) د/ محمد عبد المنعم خفاجـي - عبد القـاهر وـالـبـلـاغـةـ الـعـرـبـيـةـ صـ ١٤، ١٥، ١٩٥٢ مـ طـ أولـ

ما كسبت وطهرا ما كمكبت . . .<sup>(١)</sup> في أن الكسب يختص بالخير واللاكتساب يختص بالشر ، وتعليل ذلك بأن في الكسب اعتقاداً وأن الشر لما كان النفس تشتهيه وتتجذب إليه كانت فتحصيله أ更快 وأجد بعده ذلك مكسبة فيه ولسان تسكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على على الاعتقاد<sup>(٢)</sup>.

وقد تبعي الدكتور « مصطفى الصاوي الجوهري » هذه المواقف وتلك اللحاظ النفسية التي غنى بها كشاف الزمخشري<sup>(٣)</sup> .

وهكذا نرى أن كتب البلاغة قد حمها ومتاخرها قد راعت أحوال النفس في توصيتها للأمراء بلاغة النصوص والتراكيب التي حفلت بها ، ولنقرأ ماساقه يحيى بن حمزة العلواني المتوفى سنة ٧٤٩ هـ وهو من المتأخرین عن « الاتلاف » لتفق في تحليله لشاهد هذا الفرز على مراعاة حال النفس فقد عرف « الاتلاف » بأن يكون الكلام مشتملاً على أمرين فيقرن بكل واحد منهما ما يلامنه من حيث كان لا قدر أنه به مزية غير خافية ،

ومثل له يقول أنتي :

تمر بك الأبطال كأسي هريمه  
ووجهك وضاح وثرك باسم  
وقفت وما في الموت شك لواقي  
كأنك في جهن الردى وهو نائم

(١) سورة البقرة : الآية الأخيرة

(٢) الزمخشري : الكشاف ١ / ١١٢

(٣) انظر : د/ مصطفى الصاوي الجوهري – منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ط دار المعرفة .

فإن عجز كل واحد من البيتين ملائم لكل واحد من صدرهما وصالح لأن يؤلف معه، لكنه اختيار ما أورده في البيت لأمرين: أولاً لأن قوله: «كأنك في جهن الردى وهو فائم» إنما سبق من أجل التغيل للسلامة في موضع العطب بجعله يقررا للاستrophic والبناء في موضع يقطع على صاحبه بالموت أحسن من جعله مقررا لشياطنه في حال هريرة الأبطال، ثانياً: لأن جعل قوله: «ووجهك وضاح وثغرك باسم» تتمة لقوله: «تمرك الأبطال»، أحسن من جعله تتمة لقوله: «وقفت وما في الموت شك لواقف» لأن الإندا ان في حال المزاجية يتحققه من ضيق النفس وعيوب الوجه ما لا يتحقق، فلئن أصق كل واحد منها بما يكون فيه ملامحة وحسن انتظام من أجل البالغة في المعانى، ويسكي أنه لما أتى المتنى سيف الدولة هذه القصيدة فهم عليه هذين البيتين فقال له: هل جعلت عجز أحدهما عجزاً للأخر فأجابه بما ذكر من بلاغة المعنى فإذا كان على هذه الصفة، فاستحسن سيف الدولة ما قاله عن ملاحظة المعانى التي هي مغازيه في قصائده وزاد في عطليته<sup>(١)</sup>.

#### • — الألفاظ والحروف :

ويحيى تكون التراكيب من ألفاظ وحراف في علاقة البلاغة بالنفس تتمثل أيضاً بوضوح في الألفاظ وحرافها وذلك في حسن التلازم بينها وبين المعانى المقصودة، والدقة في اختيارها لتوافق الأحوال النفسية للخاطبين وصور «السيوطى» هذه العلاقة بقوله: «فاما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع . . .

وذلك أنهم كثيراً ما يحملون أصوات الحروف على سنت الأحداث

(١) يحيى العلوى: الطراز ١٤٨، ١٤٧ / ٣ ط المقتطف ١٩١٤ م

المعبر بها عنها فيعدلونها بها ، ويختذلتها عليها ، وذلك أكثر مما نقدره ...  
من ذلك قوظم : خضم وقضم ، فالخضم لاكل الرطب كالبطيخ والقطاء  
وما كان من نحوها من المأكول الرطب ، والقضم لاكل اليابس نحو :  
قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك... ومن ذلك قوظم : النضج للماء ونحوه ،  
والنضج أقوى منه ، قال الله تعالى : «فِيمَا عَيْنَانِ نَصَّاخَتَانِ» (١) بقوله  
الحام لرقة الديم الخفيف ، والخام لغاظها لما هو أقوى منه (٢).

ويجعل أحد الباحثين ذلك خاصية فريدة للفتنا العربية ويطلق عليها  
«الجاوانية» ، أي إدراك معنى الأشياء بمعنى «الإذنية» ، وبنوع من الكشف  
الداخلي دون حاجة إلى الوسائل الخارجية ... كاللطف وما إليه ، وأن  
تعريف البلاغة في العربية تعریف «جاواني» وهو الوصول إلى كنه ما في  
القلب (٣) .

كذلك تتضح تلك العلاقة في الحركات والسكنات التي تتألف منها  
التفعيلات العروضية ، فقد روى في بنا ، تلك التفعيلات ملامتها طولاً  
وقدراً للأغراض المقصودة ، وقد توصل «الخليل» إلى ذلك بعد عملية  
استقراء ، وجده فيها أن الشعراً حين يعبرون عن حالات الحزن إنما يعبرون  
عنها في الأوزان الطويلة ، وأنهم حينما يعبرون عن حالات السرور والبهجة  
يختارون لذلك الأوزان القصيرة كابن الروى مارثا ابنه محمد آرتاه بأبيات  
من «بحر العوبل» «فَعُولَنْ مفاهيَانْ فَعُولَنْ مقاعَنْ» [مكررة] فقال :

(١) سورة الرحمن : ٦٦

(٢) السيوطي : المزهر ١ : ٥٠ تحقيق : محمد أحمد جاد المولى  
وآخرون

(٣) د / عثمان أمين : المحاضرات العامة للموسم الفقاف الثاني ص :

بـكـافـكـا يـشـفـي وـلـنـتـ كانـ لاـ يـجـدـي  
ثـقـوـداـ فـقـدـ أـزـدـيـ نـظـيرـ كـاـ عـنـىـ  
أـلـاـ قـاتـلـ اللهـ المـشـايـاـ وـرـمـيـاـ  
مـنـ الـقـوـمـ جـاتـ الـلـوـبـ عـلـيـ عـدـ  
عـلـىـ حـيـنـ شـمـتـ الـخـيـرـ مـنـ لـحـاتـهـ  
وـأـنـسـتـ مـنـ أـفـالـهـ آـيـةـ الرـشـدـ  
حـلـوـاهـ الرـدـيـ عـنـ فـاضـحـيـ مـنـ رـادـهـ  
بـعـدـآـ عـلـىـ قـرـبـ قـرـيـاـ عـلـىـ بـعـدـ(١)

خاتمة:

ومن كل ما سبق يتضح لنا أن الاتجاه النفسي في تدريس البلاغة لم يكن جديداً علينا، وأن صلة البلاغة بالنفس قديمة وتشمل التراث البلاغي متقدمه ومتاخره وتتمثل في جوانب متعددة منها: معنى البلاغة، والبيته والطبع، والاسرار البلاغية، والتذوق الادي، والالفاظ والحرروف وغيرها وقد شهد يقدم تلك العلاقة دعوة ذلك الاتجاه أنفسهم فالمرحوم «أمين الخولي» يذكر في قوله: «أن البلاغيين القدامى حاولوا على قدر طاقتهمربط بين البلاغة وعلم النفس»(٢) ومحمد خلف الله ذكر ما سبق من أن طريقة التذوق والتأمل الباطني يلتف القمه لدى «عبد القاهر» في «أسرار البلاغة»(٣).

(١) د/ عز الدين إسماعيل - التفسير النفسي للأدب ص: ٨٠ دار

المعارف ١٩٦٣ م

(٢) أمين الخولي: فن القول ص: ٢٠ ط الحلبي

(٣) د/ محمد خلف الله من الوجه التفسية ص: ٩٤ - ٩٥

ولن أوقف دعاء هذا المنح على ما يضيقه لدرس البلاغة من حيوية وحسن علاقة بالأدب واتصال بالمجتمع على أن تم تلك العلاقة بالقدر الذي يحفظ للبلاغة كيانها، ولا يرج بها في خضم الأحداث والدراسات النفسية على نحو مايراه المرحوم «سيد قطب» من أن الإسراف في استخدام المنهج النفسي في الدراسات الأدبية والبلاغية يحول البلاغة والأدب إلى دروس في علم النفس ولما كان الحكم على أي اتجاه يتأقى على ضوء ما يصرزه من بحث وتحققه من فوائد فإن الاتجاه النفسي إن أفادنا في وصل البلاغة بالحياة والمجتمع، وتعميم علاقتها بالعلوم والثقافات فإنه لا يفيدنا ب بنفس القدر في تحقيق الأهداف المنشودة للدرس البلاغي من : الموازنة بين الأساليب، والتباين بين الجيد منها والرديء، والوقوف على أمراض الاتجاه البلاغي في كلام رب العزة وهي الأهداف التي اصطلح علماء البلاغة على تسميتها بالأهداف : الدينية، والأدبية، والنقدية وعلى الله قصد السبيل.

### المدخل إلى علم البيان<sup>(١)</sup> بين عبد القاهر والمتاخرين

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان والصلة والسلام على أفعى  
العرب سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اتّبعه .

وبعد :

فإن مقدمة علم البيان ، أو بحث : الدلالات عند المتاخرين من علماء  
البلاغة كان من أبرز المباحث التي استشهد بها جهراً من النقاد على عقم  
بلاغة المتاخرين وجودها ، وعلى الرغم من ذلك فإنه ما ينفك مدخلاً  
لكثير من دارمي العربية وبلغتها إلى علم البيان مما دفعني إلى التوجه  
لدراسته ، والوقوف على منزلته من البلاغة .

أهو أصل يحب أن يبق أم دخيل يجب أن يعزل ويستبعد ؟

وذلك من خلال هذا البحث الذي يشتمل على :

مقدمة وتمهيد وتلاته فصول وخاتمة ،

فتبرر المقدمة الحذق الذي أعدد له البحث .

ويوضح التمهيد : معنى البيان في اللغة والبلاغة ، وموقف علماء البلاغة  
والنقد المعاصر من : بحث الدلالات .

ويوضح الفصل الأول : أنواع الدلالات ، ومنزلتها البلاغية .

---

(١) بحث منشور بمجلة « الدارة » السعودية عدد شوال ١٤٠١ هـ

ويناقش الفصل الثاني : قضية الدلالة الوضعية بين عبد القاهر  
والمتأخرین .

ويناقش الفصل الثالث : منزلة التشبيه من البيان بين : عبد القاهر  
والمتأخرین .

وقبرد الخاتمة : ألم يتتحقق المستخلص من البحث .  
ـ وما توفيق إلا يائة عليه توكلت وإليه أنيب ،

تَعْبِيرٌ :

**البيان في اللغة والبلاغة**

يراد بالبيان في اللغة : الوضوح والظهور : ففي لسان العرب بان الشيء اتضحت فهار بين ، واستبيان الشيء : ظهر ، والبيان الفصاحة والحسن وكلام بين : فصيح ، وفلان أين من فلان أى فصح منه وأوضحت كلامه ورجل بين : فصيح ، والجحيم : أبينا ، البيان : إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع التس恩 ، وأصله الكشف والظهور<sup>(١)</sup> .

وقد وردت كلمة البيان في أكثر من موطن من آيات القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى « الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان »<sup>(٢)</sup>

وقد فسر الرمخشري البيان هنا بأنه : المنطق الفصيح للمرء الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى أيضاً في سورة القيامة ، ثم إن علينا بيانه<sup>(٤)</sup> ويفسرها الرمخشري كذلك بالتوضيح والإظهار فإذا خفي على الرسول ﷺ شيء من معانٍ القرآن<sup>(٥)</sup>

أما في البلاغة ومنذ بدأ التأليف فيها إلى الآن فإن كلية البيان قد فسرت تفسيرات كل منها فيه معناها اللغوي السابق أى الوضوح والظهور .  
التفسير الأول : الإلقاء باللحجة الواضحة ، والإفهام بالدليل الظاهر

(١) لسان العرب مادة بين ١٦ / ٣٠٨ ط الدار المصرية للتأليف والترجمة

(٢) سورة الرحمن ١ - ٤

(٣) الكنفاف - ٤ : ٤٣ ط الحبي ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م

(٤) سورة القيامة : ١٩

(٥) الكنفاف - ٤ : ١٩١

والبيان بهذا التفسير مرادف للبلاغة<sup>(١)</sup> وقد ورد بهذا المعنى في قول الرسول ﷺ : إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحسكة ، ويوضح ابن الأثير في النهاية المراد منه بقوله ، إن الرجل يكون عليه الحق وهو أقوم بمحاجته من خصميه فيقلب الحق بيقانه إلى نفسه ، لأن معنى السحر قلب الشيء في عن الإنسان وليس بقلب الأعيان ، الاترى أن البلوغ يدخل إنسانا حتى يصرف قلوب السامعين إلى جهة ، ثم يذدهم حتى يصرفها إلى بعضاه<sup>(٢)</sup> واستخدم عدد من علماء البلاغة والأدب متقدمين ومتاخرين ومعاصرين البيان يمعنى البلاغة السابق :

فمن المتقدمين : أبو عثمان عمرو بن يحيى الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ فقد جعل « البيان » عنوانا لكتابه ، البيان والتين ، وقال في هذا الكتاب يفسر البيان تفسيرا لا يختلف عن تفسير البلاغة من ناحية المصمومون ، والبيان : اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفهمني السامع إلى حقيقته ووجهه على مخصوصه كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر والنهاية التي إليها يجرى الفائق والسامع إنما هو الفهم والإفهام فائي شيء بلغت الإفهام وأوحيت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع<sup>(٣)</sup> .

كذلك من علماء البلاغة المتقدمين الذين اطلقوا البيان على البلاغة د عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، أو ستة٤٧٤ هـ ، في كل من

(١) كما عرفها ابن وهب بإنها : القول المحيط بالمعنى المقصود . مع اختيار الكلام وحسن النظام وفصاحة اللسان ، البرهان في وجوب البيان ص ١٢٩

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثرا : بخط أولى على الحلي ١٣٨٣ هـ

١٩٧٣ م

(٣) البيان والتين ١ / ٧٦ ط رابعة الخامنوي ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م تحقيق د : عبد السلام محمد هارون .

كتابه : «دلالات الإعجاز ، وأسرار البلاغة»، فتحدث في كل منها عن البلاغة بصورة عامة ولم يفرد الأول لنظرية المعانى ، ولا الثاني لنظرية البيان كأى من ذلك بعن المعاصرين<sup>(١)</sup> .

إذ ناقش عبد القاهر في دلالات الإعجاز دروساً من المنعاني والبيان والبديع ، وفي أسرار البلاغة دروساً من البديع والبيان فضلاً على أنه كان مهتماً بكل من الكتابتين بتوضيح أسرار النظم أو البلاغة ولم يكن تقسيم البلاغة إلى معانٍ وبيانٍ وبديعٍ قدح لا بعد<sup>(٢)</sup> .

يؤكد ذلك غير ما سبق أنه في مطلع «دلالات الإعجاز» الذي يرون أنه في علم المعانى يتحدث عن البيان بمعنى البلاغة فيقول «ثم إنك لا ترى، علماً هو أرسخ أصلًا، وأبسط فرعاً، وأحلى جنى، وأعقب مورداً وأكرم قاتجاً، وأنور مراجعاً من علم البيان الذي لولاه لم ترسلنا يحوك الوشى، ويصوغ الخلائق، ويلفظ الدر، وينتفت السحر، ويقرى الشهد، ويربك بدائع من الزهر»<sup>(٣)</sup> .

وقد صرخ بعد ذلك بصفحات براادةفة كلية «البيان»، للفصاحة والبراعة

(١) من هؤلاء المعاصرين : الدكتور/ شوق ضيف في كتابه «البلاغة وتطور وتاريخ» ص : ١٩٠ وما بعدها — ط دار المعرفة ١٩٦٥ ، والدكتور عبد العزيز عتيق في كتابه : في تاريخ البلاغة العربية — بيروت ١٩٧٠ ص : ٢٤٦ وما بعدها .

(٢) «الصيني البديعي في اللغة العربية» — د. أحمد موسي ص : ٢٢١ وما بعدها ط أولى سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م .

(٣) «دلالات الإعجاز» ص : ١٣ تحقيق : أحمد مصطفى المراغي ط التجاربة .

فقال دوم أذل منه خدمت العلم أنظر فيما قاله العلامة في معنى الفصاحة والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها<sup>(١)</sup> .

أجل لم تكن تلك الألقاب أخذت سببها إلى التحديد بعد كارأينا عند « عبد القاهر » وأيضاً عند « ابن سنان الخناجي » المتوفى سنة ٤٦٦ هـ، المعاصر لعبد القاهر الذي جعل عنوان كتابه: « مسر الفصاحة ». فننجاوز الحد أن يقال إن كتاب « دلائل الإيجاز » في علم المعانى وإن « أمصار البلاغة » في علم البيان ولم تقف على كلما في المعانى « وبيان » مقتربتين إلا بذلك بما يقرب من قرن من الزمان عند الرمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ. فمطلع الكشاف حيث يقول « ثم إن أملأ العلوم بما يغير القراءح »<sup>(٢)</sup> . وأنهضها بما يبرر الآلباب القوارح<sup>(٣)</sup> . من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أمصار يدق سلوكها<sup>(٤)</sup> . علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه ولإجلاله النظر فيه كل ذى علم .

كما ذكر الجاحظ في كتاب نظام القرآن فالفقية وإن جرد على الآثار<sup>(٥)</sup> في علم الفتاوى والأحكام، والتكلم وإن برأ الدين في صناعة السلاط، وحافظ الفصحاء والأخبار وإن كان من ابن القرية<sup>(٦)</sup> أحفظ، والواعظ وإن

(١) المرجع السابق ص: ٣٤

(٢) القراءح: الطبعان مفردها: قريحة .

(٣) القوارح: التكميل الشوابث جمع قارح .

(٤) يلطف مسلكها: أي يدق طريق الوصول إليها فلا تسلك إلا بمحنة صائبة والسلك: الخطيب .

(٥) الآثار: الأكفاء جمع قرن بالكسر .

(٦) ابن القرية: يكسر القاف وتشديد الراء المكسورة: أحد فصحاء العرب واسمه: أبوب القرية: اسم أمه .

كان من الحسن البصري أو عظ ، والشجوى وإن كان أنتى<sup>(١)</sup> من سيبويه ، واللقوى وإن علك اللغات بقدرة لحبيه<sup>(٢)</sup> ، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يفرض على شيء من تلك الحفارات ، إلا رجل قد برع في علين مختصين بالقرآن وما عالم المعناني وعلم البيان « ومن البلاغيين المتأخرین الذين استعملوا « البيان » بمعنى البلاغة .

ضياء الدين بن الأثير الجزائري<sup>(٣)</sup> ، في كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » الذي جامت مباحثه في مقدمة ومقالات ، فتحدث في المقدمة عن أصول علم البيان مریداً به البلاغة وفي المقالتين عن فروعه من الصناعتين : اللفظية والمعنوية وجمل القاضي « الشجوى » المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، « البيان » عنوان لكتابه ، الأقصى القريب في علم البيان<sup>(٤)</sup> .

واستعمله كذلك « ابن الزمكاني » عنواناً لكتابه « التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن »<sup>(٥)</sup> .

(١) من نحائينه إذا نظر في علم النحو وتكلم فيه .

(٢) اللحي : مثبت للحقيقة ، عبر بذلك اللغات عن ضبطها وإتقانها ودل على سهولة مآكلها : أي يكتفى فيه تحريرك اللحبيين باستعمال اللسان .

(٣) المتوفى سنة ٦٣٧ هـ

(٤) وقد نشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٣٢٧ هـ البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٦

(٥) طبع في بغداد سنة ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤ م بتحقيق الدكتور بن : أحد مطلوب وخديمه الحديبي . والزمكاني : نسبة إلى قرية تسمى « زملكا » بفروطة دمشق وقد توفي سنة ٩٥١ هـ ، فوات الوفيات : ٤ : ٧

ومن علماء البلاغة والأدب المعاصر الذين أرادوا بالبيان البلاغة وجعلوه مراد فاما الدكتور : بدوى طانه فقد جعل عنوانا لكتابه : البيان العربي<sup>(١)</sup> والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في كتابها : الإعجاز البياني للقرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نرى أن هذا المعنى العام للبيان وهو يجعله مرادا للبلاغة قد تمثل في جميع أطوار التأليف البلاغي : قديمه ومتاخره وحدثه.

أما التفسير الثاني للبيان فإنه يختص بمحاسب من جوانب البلاغة ويقتيد بفتوح محددة من فتوحها المتعددة.

وقد عرفنا أن يواحد هذا التفسير الحدد لاحت أول ما لاحت على يد الزمخشري حينما استهل كشفه بالتبية إلى أهمية تحصيل على المعانى والبيان لمن توق نفسه إلى معرفة ما تتضمنه آيات الذكر الحكيم من أسرار يدق مسلكها وتحدد مدلول هذه الكلمة بعد ذلك تحديدآ هاماً ظل يلازمها ،

(١) يؤكّد ذلك قوله في مقدمه الطيبة الخامسة للكتاب ، أما بعد هذه الطيبة فقد حرصت فيما على أن يخلص الكتاب لدراسة «البيان» بمعناه الأعم الذي يرافق معنى البلاغة دراسة تقوم على تقبّع شأنه هذا اللون من التقسيم عند العرب ، ورصد مراحل نموه وتطوره في الزمن منذ أول العهد به كلاماً في القرآن الكريم ، ومحاولة لإثبات أحاجازه حتى هذا العصر الحديث الذي تعددت فيه الأفكار ، وتبينت الآراء في مفهوم البلاغة وغيرها .

البيان العربي ص : ٢٧٠ ط ٥ بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

(٢) ط دار المعارف مصر .

وما زال تعرف به حتى الآن وذلك على يد أبي يعقوب السكاكى المتوفى سنة ٦٦٦ هـ عندما حصر في القسم الثالث من كتابه مفتاح العلوم ، البلاغة في علي : المعانى والبيان وما يتبعها من وجوه مخصوصة يصار إليها لتحسين الكلام وهي المحسنات البدعية : اللفظية والمعنىوية — وحضر السكاكى كفعل الرحى من قبله من الأقدم على تفسير القرآن الكريم قبل إتقان هذين العلمين ، وبدأ السكاكى دراسته بعلم المعانى ، ثم بالبيان لتفقهه عن المعانى وختم دراسته بالحسنات البدعية .

وعرف السكاكى علم المعانى بأنه : تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره<sup>(١)</sup> .

وتعريف علم البيان بأنه : معرفة إرادة المعنى الواحد في حرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام تمام المراد منه<sup>(٢)</sup> .

وبذلك يعد السكاكى البادىء الحقيقى لتصنيف البلاغة ، والمحدد لصيغاتها على التحوى السابق ، ثم أتم تقسيمه وأكمل تحديده بدر الدين ابن مالك ، المتوفى سنة ٦٨٦ هـ الذى جعل المحسنات البدعية علماً مستقلاً لتصبح علوم البلاغة ثلاثة وذلك في كتابه المصباح في علوم : المعانى والبيان والبدع<sup>(٣)</sup> ومضى في إثره كل من جاء بعده على ذلك التقسيم والتحديد

(١) مفتاح العلوم ص ٧٧ ط أول الحلبي : سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م .

(٢) المرجع السابق .

(٣) وأتم الكتاب : المصباح في اختصار المفتاح ، وقد استمر زمناً طويلاً مرجع طلاب البلاغة في بلاد المغرب وعني بشرحه عدد من المؤلفين وكان في بلاد المغرب كتلخيص القرزويني في بلاد المشرق ، البيان العربي ص ٢٧٠

بدها بصاحب : التخيص والإيضاح [المخطيب الفزوبي<sup>(١)</sup>] ومروراً بشراح التخيص ، واتهاء بالنصر الحاضر .

وعلى الرغم من تغير منهج السكاكي فيتناول البلاغة عن مناج من سبقه من حيث : التقسيم والضبط والتتحديد وما لذلك المنهج من بعض الإفادة إلا أن الناقدين له لا يحصون عدداً ، ولعل مبحث الدلالات يمد من أوضح الأبحاث التي استشهد بها كثرة من البلاغيين والقادة على عمق هذا المنهج وجوهه وشدة خطورته على البلاغة والأدب وبالغ ضرره على الملوك والأذواق<sup>(٢)</sup> بل دأبنا أحد علماء البلاغة المعاصر من يجعله عملاً غير مشروع لا ينبع الإيقاع عليه بقوله «المقياس الصرخ للبلاغة يرفض أن تكون أنواع الدلالات بسبب من علم البيان ، فالدخول لا يرقى إلى درجة الأصيل ، ولا يعني أن مبحث الدلالات وإلصاقه ببيان كان نتيجة لعمل غير مشروع اقترفه السكاكي في مقناته دلالات على فساد المتنوق البلاغي وإفلاته ، ومن هنا انحرفت الملوكات البلاغية عن النهج العربي وسارت في الطريق التي ابتدعها السكاكي مؤثرة الإبر والأشواك على الشيد والورود متخذة من الألفاظ صناعة ، ومن الجھل بصناعة ، وكانت الأساليب العربية هي الضحية إذ أصبحت تقاس بمحدود المنطق ورسومه ، وتضيع في زحام المصطلحات الفلسفية الغربية عنها»<sup>(٣)</sup> .

وحيث ورد لفظ «الدلالة» في تعريف السكاكي السابق البيان وأيناه

(١) المترقب سنة ٦٧٣٩ .

(٢) ومن هؤلاء المرحوم الشيخ أمين الحلوى الذي يقول «إن مقدمة الدلالات متحمة بين يدي علم البيان ، وأنها مقدمة منطقية لا ينفع عليها في إدراك صور البيان التعبيرية ، ولا يضر جهلها ، بل تضر معرفتها حين تصرف عن تحريك المنهج . فن القول : ١٩٥

(٣) البلاغة التطبيقية د . أحمد موسى ص ٤ ط أولى .

ويتهدى حديثه عن علم البيان وقبل أن يخوض في بحث مسائله بالكلام على أنواع الدلالات وعلاقتها بعلم البيان ، وجاء من بعده فأطلاوا الوقوف عند أقسام الدلالات ، وتعريف كل منها ، وسبب تسميتها بما سمى به — وما له منها علاقة بعلم البيان ، وما ليست له علاقة به إلى غير ذلك من أمور تجعله إلى المفترض أقرب منه إلى البلاغة — مما دفع واحداً من المتأخرین أنفسهم ومن شراح التلخيص للتبريم بهذا المبحث وألناداه ياصاته وحفلته من وجه البيان وذلك هو سعد الدين التفتازاني<sup>(١)</sup> في قوله ، هذا هو الكلام فشرح مقدمة علم البيان على ما خترعه السكاكي وأنت خبير بما فيه من الاضطراب والأقرب أن يقال : علم البيان .

علم يبحث فيه عن التشيه والمجاز والكتابية ثم يستغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات إلى الأبحاث التي أوردتها في صدر هذا الفن<sup>(٢)</sup> .

واسكن على كثرة ما يتجه به الباحثون والدارسون من انتقادات لبلاغة المتأخرین عموماً ، ومن ذم وعيب لمبحث الدلالات خصوصاً وتنقية البلاغة منه — فإن هذه البلاغة مازالت المورد الذي يرده الدارسون في كثير من مدارس العربية وما ينفك مبحث الدلالات من دخلها يليجه أولئك الدارسون لعلم البيان — أعني مبحث الدلالات — من حيث : أهمية الدلالات ، وأقسامها وتعريف كل قسم — وعلاقة كل منها بعلم البيان — والنتائج التي تترتب على ذلك — وذلك من خلال موازنة أهمية ودقيقة بين ما قرره المتأخرون وما ورد منه عند المقدمين [عبد القاهر] لترى إن كان مبحث الدلالات أصيلاً أم دخيلاً وإن كان السكاكي فيه مبتداً أم <sup>أهليّة</sup> ؟

(١) المتوفى سنة ٥٩١ هـ .

(٢) المطول ص ٣٠٩ أحد كامل — القاهرة .

## الفصل الأول

### الدلالات : أقسامها – منزلتها من البلاغة والبيان

تحدث السكاكي في مطلع كتابه عن علم البيان عن أقسام الدلالات وأنها : وضعيّة ، وعقلية والعقلية إما : تضمنية أو الالتزامية مبينا سبب تسمية كل منها بما سميت به فيقول : لا شبهة في أن اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن أن تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع ، وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالة وضعيّة ، وهي كأن المفهوماً ذاتك ولتسميه أصلياً تعلق مفهوم آخر أمكن أن تدل عليه بواسطة ذلك التعلق بحكم المثل سواء كان المفهوم الآخر داخل في مفهومها الأصل كالسقف مثلاً في مفهوم البيت وتسمى هذه دلالة التضمن ودلالة عقلية أيضاً ، أو خارجاً عنها كالماء في السقف وتسمى هذه دلالة الالتزام ودلالة عقلية أيضاً<sup>(١)</sup> .

ذلك ما ذكره السكاكي في مطلع البيان عن أقسام الدلالات التي ورد ذكرها في تعريفه له ، وجاء شرح التلخيص من بهذه فراداً في التقسيمات وأثروا من المناقشات التي كانت تقطع علاقة ذلك البحث بالبلاغة والبيان ويختل الدارس أنه يبحث في المنطق زج به في كتب البلاغة ولا يمت إليها بصلة فعرفوا الدلالة بأنها : كون الشيء بحيث يلزم من المطلب به العلم بشيء آخر فالشيء الأول هو المطالع ، والشيء الثاني هو المدلول . وقسموا الدلالة بحسب الحال إلى قسمين : لفظية ، وغير لفظية

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٦

وذكروا أن غير اللغطيه : كدلالة الخطوط ، والمقود ، والنصب ، والإشارات ودلالة الآخر على المؤثر كالدخان على النار ، وأنه لا علاقه لهه الدلالة بعلم البيان لأن موضعه : إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ؛ وعرفوا اللغطيه بأنها ما كان الحال فيها لفظا ، وأنها ثلاثة أقسام :

وضعية ، وعقلية ، وطبيعية . فالوضعية : ما كان للوضع فيها مدخل كدلالة الأسد على الحيوان المفترس ، حيث عين الواقع لفظ ، الأسد ، الدلالة على معناه ، والعلقية : ما كان قوام الدلالة فيها العقل ، كدلالة المفظ النسوي من وراء ستار على وجود لفظه — والطبيعية : ما كان قوام الدلالة فيها الطبيع كدلالة (الثورة) على الألم ، فإن طبع اللافظ يقتضي التلفظ بذلك عند إلمام الألم به — وذكروا أن هاتين الدلالتين الأخيرتين (العقلية ، والطبيعية) لا علاقة لها كذلك بعلم البيان لعدم انتصافهما ، ولا اختلافهما باختلاف الأفهام والطابع — ثم قسموا اللفظية الوضعية إلى ثلاثة أنواع : مناقبة ، وتفصيم ، والتزامة لأن اللفظ .

إما أن تعدد دلالاته بالنسبة إلى تمام مساه ، أو بالنسبة إلى ما هو داخل فمساه . أو بالنسبة إلى ما هو خارج عن مساه .

**فالاول:** المطابقة مثل: دلالة الإنسان على تمام المعنى الذى وضع له وهو (الحيوان الناطق) والسر فى تسميتها مطابقة: أن القبط والممعى تطابقاً وتساوياً ، وأصلحوا على تسمية تلك الدلالات «وضعية» .

والثانية هي: التضمينية . كدلالة (الإنسان) على «الحيوان»، فقط أو على «الناطق»، فقط ، والسر في تسميتها تضمينية لأن المدلول وهو «الحيوان» أو «الناطق»، جزء من معنى «الإنسان»، والجزء داخل في ضمن المعنى الموضوع له والمكل متضمن لباقي واحد من أجزائه — .

والثالثة هي: الالتزامية ، كدلالة لفظ (الإنسان) على الضحك والسر

تقسميتها : التزامية — أن الضحك ليس معنى الإنسان وليس جزء معناه، وأيضاً هو أمر خارج عن معناه لازم له وأصطاحوا على تسمية كل من التضمنية والالتزامية (عقلية) لأن دلالة اللفظ على جزء معناه أو على لازم معناه متوقفة على أمر عقلي زائد على العلم بالوضع وهو أن جود السكل يستلزم وجود الجزء . وأن وجود الملزم يستلزم وجود اللازم<sup>(١)</sup>.

تلك أقسام الدلالات عند السكاكى ومن جاء بعده من البلاغيين وقد تحدث السكاكى عن الدلالات كذا ذكرنا لورودها ضمن تعريفه لعلم البيان ، لذابين أقسامها وعلاقة كل قسم منها بعلم البيان ، وكانختصرا في تسمياته ككارأينا إما الإكتفار من التضمنيات والتنتيرات فكان لشرح التلخيص من بعده — .

وقد تبين لنا أن السكاكى مسبوق ببحث الدلالات وأن عدداً من البلاغيين من قبله قد تحدثوا عن الدلالات مع اختلاف بيته وبينهم فالصيغة والموطن النثر ورد فيه الحديث<sup>(٢)</sup> ومن ثم لا يصح القول بأن بحث الدلالات مقتصر على البلاغة وأنه على غير مشروع أصنف السكاكى بالبلاغة .

فقد ذكر الملاحظ في (البيان والتبيين) أن الدلالة على المعنى تكون لفظية وغير لفظية ، وكلاهما خمسة أقسام : (اللفظ ، والإشارة والعقد<sup>(٣)</sup>) والخط . ثم الحال التي تسمى نصبة ، والثانية هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقتصر عن تلك الدلالات وقد وضح الملاحظ كل قسم

(١) شروح التلخيص ٣ / ٢٦٢ وما بعدها وبيفية الإيضاح ٣ / ٢ وما بعدها والمطلع ص : ٣٠١ وما بعدها

(٢) ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد

من هذه الأقسام ذاكرا الشواهد الموجبة له ، وجعل الدلالة بالفظ  
هي البيان<sup>(١)</sup> .

ونستطيع من غير عناء أن نفهم سر الحديث عن أنواع الدلالات وأنه  
الصلة القوية بينها وبين الموضوع الذي يختصه الجاحظ بالدراسة وهو  
ـ «البيان» بمعنى العام المرادف للبلاغة لا بالمعنى الذي حده السكاكيـ .

كما قاتب الجاحظ في الحديث عن أنواع الدلالات بعض من جاء بهـ  
ـ كابن وهـ<sup>(٢)</sup> في كتابه : « البرهان في وجوه البيان » والرمانى المتوفـ  
ـ سنة ٣٨٦ هـ في كتابه : النسكت في إعجاز القرآن وغيرهما<sup>(٣)</sup> .

كما تحدث « عبد القاهر » عن أنواع الدلالات إلى : وضعيـة ومعنىـية  
ـ ولم يذكر من التفصـيات كما رأينا عند الجاحظ من قبلـهـ والـمتأخرـينـ وعلىـ  
ـ رأسـهمـ السـكاـكيـ من بعـدهـ .

ـ كما لم يكن كلام « عبد القاهر » على الدلالـاتـ في مطلعـ الحديثـ عنـ  
ـ علمـ البيانـ كما فعلـ المـتأخـرونـ إذـ لمـ يكنـ البيانـ تـحدـدـ عـنـدهـ كـاـذـكـرـنـاـ وـإـنـماـ  
ـ جـعلـ كـلـامـهـ عـلـىـ الدـلـالـاتـ بـمـوـمـ الـبـلـاغـةـ كـاـفـلـ الجـاحـظـ مـنـ قـبـلـهـ،ـ إـذـ

(١) البيان والتثنين ١ : ٧٥ وما بعدهـ

(٢) هو أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهـ السـكاـكيـ  
ـ منـ عـلـاءـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ الـهـجـرـيـ .ـ البرـهـانـ فـيـ وجـوهـ الـبـيـانـ صـ:ـ ٣٧ـ تـحـقـيقـ  
ـ دـ.ـ أـحـدـ مـطـلـوبـ وـدـ.ـ خـدـيـجـةـ الـحـدـيـثـ

(٣) مـصـلـحـاتـ بـلـاغـيـهـ صـ:ـ ٦٩ـ ،ـ ٧٠ـ دـ.ـ أـحـدـ مـطـلـوبـ طـ أـولـ  
ـ ١٣٩٢ـ هـ ١٩٧٢ـ مـ وـالـبـرـهـانـ فـيـ وجـوهـ الـبـيـانـ جـ:ـ ٦ـ ٦٥ـ تـحـقـيقـ  
ـ دـ.ـ حـفـيـشـ رـفـ

ـ وـثـلـاثـ رـسـائـلـ فـيـ اـعـجـازـ الـقـرـآنـ صـ:ـ ١٠٦ـ طـ ثـانـيـهـ دـارـ الـمـعـارـفـ

عرض « عبد القاهر » للدلالات أثناء حديثه عن : المعنى ومعنى المعنى وذلك متعلق بجميع فنون البلاغة، والسكاكى فى تقسيمه للدلالات متأثر كغيره ، وبعد القاهر ، لدرجة أنه ينقل بعضها من عماراته بينما كا تبين بعد ، والاختلاف بينهما فى المروطن الذى توقفت فيه الدلالات كما يبين ، وفي بعض النتائج التى ترتب على ذلك النقاش وحتى يكون كلامنا أكثر تحديداً وتأكيداً فأنا أسوق كلام « عبد القاهر » فى ذلك لنزداد اقتناعاً بما بينه وبين السكاكى حول تقسيم الدلالات من اتفاق واختلاف ، وقد ذكرنا من قبل كلام السكاكى .

لقد جاء حديث « عبد القاهر » عن الدلالتين اللفظية والمعنوية أثناء كلامه على المعنى الأول والمعنى الثاني قوله ، الكلام على ضرب أنت تصل منه إلى الفرض بدلالة المفظ . وحده . وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت : خرج زيد وبالانطلاق عن عزو فقلت : عزو ومتصلق وعلى هذا القياس . وضرب آخر أنت لا تصل منه الفرض بدلالة المفظ . وحده ولكن بذلك المفظ على معناه الذى يقتضيه موضوعه فى اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الامر على الاستعارة والكتابية والتبيّل .

وإذا قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة وهى أن تقول : المعنى ومعنى المعنى ، تعنى بالمعنى المقصود من ظاهر المفظ والذى تصل إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى : أن تصل من المفظ معنى ثم يفضى بذلك المعنى إلى معنى آخر<sup>(١)</sup> .

يقول آخرون وعلى رأيهم السكاكى ذلك مقدمة لعلم البيان عرفت بالدلالات وقسموها إلى : لفظية وغير لفظية ، وقسموا اللفظية إلى : وضعية وعقلية والعقلية إلى قضمية والتزامية كما مر ،

(١) دلائل الإعجاز ص ١٨٠

(٢) — البلاغة

### **مسألة التحديد المعنوي :**

وإذا كان المتأخرون قد خالفوا عبد القاهر في الموضع الذي ورد فيه ذكر الدلالات، حيث جعلوها مقدمة لعلم البيان في عرفهم وكانت عنده ضمن السكلام على المعنى ومعنى المعنى الذي يتصل بجمع فنون البلاغة وليس بالبيان وحده<sup>(١)</sup> فإنهم خالقوه في مسألة ثانية وردت أيضاً في حديثه عن الدلالات، وهي مسألة التعمق المعنوي — النبأ آراء عبد القاهر من عيوب الأسلوب، وعزموا له من نطاق البلاغة وحدد سبيه في: فساد العلاقة، وتسكّاب الصلة أو بعدها بين المعنى الأول والمعنى الثانى كاف قول الباس بن الأخفش:

سأطلب بعد الدار عنك لقربوا  
وتسلب عيّاه الدوع لجمدا

حيث جعل الشاعر : وجود العين دليلاً مرسور وأمارة غبطة وكتابية عن أن الحال حال فرح ، افطنه أباً الجحود خلو العين من البكاء مطلعًا من غير اعتبار شيء آخر ، وقد أحطأني ذلك ، لأن الجحود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها فلا يمكن كتابة عن المسرى ، وإنما يكون كتابة

(١) ذكر عبد القاهر السكتة والمثيل والاستعارة كأمثلة لمعنى المعنى لا يعني أنه ينحصر فيها أو حدها، حيث يتمثل المعنى الثاني أو معنى المعنى في كثير من مسائل علم المعانى: تحرير الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال ووقوع الخير موقع الإنذار والمكس . وفي بعض فنون البديع كالتوريه والاستخدام والمشاكل ، واقتصره على ذكر الفنون الثلاثة السابقة للدلالة على أنها أظهرت ما يرد فيها المعنى الأول والمعنى الثاني .

عن البخل<sup>(١)</sup> وتجنبأ للتعقيد المعنوي الذي، يفسد نفاذ الكلام ويخل ببلاغته ويردهن السامع ويبعده في الوصول إلى المغالب ذكر « عبد القاهر » أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول مدل التعلق . وقرب الاتصال بالمعنى الثاني تحاشياً للتعقيد الذي، يستهلك المعنى<sup>(٢)</sup> .

ذلك ماورد عن التعقيد المعنوي في حديث « عبد القاهر » عن الدلالات وهو كما ترى، مرتبط بموضوع الحديث ومتصل به<sup>(٣)</sup> ولكن ماذا فعل به المتأخرؤن؟

لقد نقل المتأخرؤن كلام « عبد القاهر » السابق عن التعقيد المعنوي إلى مقدمة البلاغة عندما أعني « الفصاحة »، وجعلوا التعقيد المعنوي، عيناً من عيوب فصاحة الكلام ، يختبرز عنه بدراسة علم البيان .

فيقول الخطيب « وما يختارز به عن الثانى – أعني التعقيد المعنوى، هو : علم البيان<sup>(٤)</sup> » .

ويقول سعد الدين التفتازاني : « ... فست الحاجة إلى علم به يختارز عن التعقيد ليتم أمر البلاغة فوضعوا لذلك على المعانى والبيان وسموه معنى البلاغة ل مكان مرید اختصاصه بما يرام<sup>(٥)</sup> .

(١) دلائل الإعجاز ص ١٨٦

(٢) المرجع السابق ص ١٨٣

(٣) انظر : المدخل إلى دراسة البلاغة ص ٩٣ د . فتحى فريد – مكتبة الهيئة المصرية .

(٤) بغية الإيضاح ١ : ٢١ وما بعدها .

(٥) المطول ص ٢٣

ولهذا يفهم كثيرون من يقر أن مقدمة البلاغة عند المتأخرین «القصاحة والبلاغة»، لأن عالم البيان يدرس فقط لتجذب وقوع التعقيد المعنوی، في الكلام — بينما هو في الحقيقة متعدد الأهداف متعدد الفوائد بما يضفيه إلى المعانی من وضوح وبيان، وبمبالغة وتأکید وغير ذلك من فضائله على الاساليب والتي تغير عنها صوره من : التشبيه والمجاز والسكنية وأنه لا يسمى بكثير من أن يحصر الحدث من دراسته في تحجّب التعقيد المعنوی .

ومكنا نستخلص من الموارثة السابقة حول أقسام الدلالات ما يلى :

١ — أن مبحث الدلالات ليس من ابتداع السكاكي أو من أعماله غير المنشورة التي ينبغي ترقية البلاغة منها كما أشار إلى ذلك بعض البلاعجين ، وإنما هو موجود في التراث البلاغي المتقدم للحاجة إليه في تبين وجوده البيان يعني البلاغة كما رأينا عند الجاحظ ، ولمعرفة أقسام الكلام ومراتبه من حيث البلاغة كما رأينا عند عبد القاهر .

٢ — إن البلاعجين المتأخرین وعلى رأسهم السكاكي اقتدوا بعد القاهر في تقسيمهم للدلالات ، لكن إكمالهم من التقسيمات ، وجعلهم الدلالات مقدمة لعلم البيان أخرج البحث عن مهمته التي وضع لها عند الجاحظ وعبد القاهر وجعله إلى المفهوم وتقسيماته أقرب منه إلى البلاغة وروعتها .

٣ — إن التعقيد المعنوی عيب من عيوب بلاغة الاساليب منشؤه بعد العلاقة بين المعنى الأول والثانوي في كل أبواب البلاغة وفنونها : معان وبيان وبدایع ولا يختص بذات الكلام أو علم البيان .

٤ — إن دراسة : الدلالات ، والتعقيد المعنوی، ينبغي أن تتم في الموضع الذي يتصلان به ، وفي الدائرة التي يرجدان داخلها أعني : دائرة البلاغة بصفة عامة ، وليس ضمن علم البيان بالنسبة للدلالات ، أو ضمن الفصاحة بالنسبة للتعقيد المعنوی .

## الفصل الثاني

### الدلالة الوضعية بين التفاوت وعدمه

حيث اشتمل تعريف السكاكي لعلم البيان كاً سبق على عبارة دف وضوح الدلالة عليه، رأينا السكاكي والبلغيين من بعده يهتمون في الكلام على أنواع الدلالات بيان ما يتفاوت منها وضوحاً وخفاءً وما لا يتفاوت، وما له منها علاقة بعلم البيان وما ليس له علاقة به . فيقرر السكاكي أن إرادة المعنى الواحد يطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه لا يتأتى بالدلالة الوضعية وإنما يتأتى بالدلالة المقلبة ، ويوضح السكاكي عدم التفاوت في الدلالة الوضعية بقوله «إذ أردت تшибه الحد بالورد في الحرة مثلاً وقلت : خد يشهي الورد امتنع أن يكون كلام مزدرياً لهذا المعنى بالدلالات الوضعية أكمل منه في الوضوح أو انقص ، فإنك إذا أوقت مقام كل كلمة منها ما يراد بها فالسامع إن كان عالماً بكل منها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه منها كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح وإلا لم يفهم شيئاً أصلاً»<sup>(١)</sup> .

كما يوضح السكاكي تحقق التفاوت في الدلالة العقلية وعلاقتها بعلم البيان فيقول «إنما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل أن يكون الشيء تعلق بأخر وبيان وبذلك فإذا أريد التوصل بواحد منها إلى المتعلق به ففي تفاوت تلك الثلاثة في وضوح التعلق وخفائه صح في طريق إفادته الوضوح والخفاء»<sup>(٢)</sup> .

وقال السكاكي البلاغيون من بعده في نفي التفاوت عن الدلالة الوضعية وإنما لها للعقلية فالخطيب القروي يصرح بذلك في تعريفه للبيان بقوله : هو

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٦ (٢) المرجع السابق .

علم يبحث عما يعلم منه كيّفية إبراد المعنى في أفضل الحالات دلالة عقلية<sup>(١)</sup>.  
والعلوي يقول في الطراز<sup>(٢)</sup> : محسن الكلام لا يجوز أن تكون  
راجحة إلى الدلالات الوضعية لبيهين :

أولاً : لأن الكلمة قد تكون فصيحة إذا وقعت في محل وغير فصيحة  
إذا وقعت في محل آخر فلو كان الأمر في الفصاحة والبلاغة راجحاً إلى مجرد  
الألفاظ الوضعية لما اختلف ذلك بحسب اختلاف الموضع .

وثانياً : لأن الاستعارة والتشبّه والتغفيل والسكنائية من أعلام أبواب  
الفصاحة وأبلتها ، وإنما كانت كذلك باعتبار دلالتها على المعانى لا باعتبار  
ألفاظها ، فصارت الدلالة على وجهين : دلالة وضعية ، وهذه لا تعلق لها  
ببالغة الفصاحة ، ودلالة منوية ، ودلالتها إما بالتضمن أو بالالتزام  
وهما عقليان<sup>(٣)</sup> . والبلغيون المتأخرون فيما ذهبوا إليه من فن التناول

(١) شروح التخيص : ١٥٦/٣

(٢) المشرف سنة ٧٤٩ هـ وهو يحيى بن حمزة العلوى البيني . البلاغة  
تطور وتاريخ ص ٣٢٠

(٣) الطراز : ٤١٤ ، ٤١٣ : ٣ ، وقد حاول نقاش البلاغيين المتأخرين  
ووجه لهم حول موضوع عدم قفاوت الدلالة الوضعية ، فأبدى بعضهم  
اعتراضه على ذلك في، وقصد آخرون لتلك الاعتراضات ، ومن تلك  
الاعتراضات : عدم استقلال الدلالات الثلاث : المطابقة والضمنية  
والالتزامية ودخول كل منها في الأخرى ورد عليه ابن يعقوب المغربي  
بأن تحديد كل منها تحديداً فاصطاً يعود لقصد المتكلم ونيته – شروح  
التخيص ٣٦٦ [٣] وما بعدها كما أجاب على اعتراض آخر بحضور بعض  
المعانى إلى الذهن بسرعة . والبحث الآخر بعد تزو وتميل ما يثبت  
تفاوت الدلالة الوضعية بأن ذلك مرده لطلب تذكر الوضع المنى  
للحفاظ الدلالة – المرجع السابق ص ٢٧٦ وما بعدها واعتراض بعض =

عن الدلالة الوضعية واتباعه للعقلية مقتدون بعد القاهر الذي أثبت التفاوت للمعوية (العقلية) ونفاه عن اللغوية (الوضعية) في قوله «وكذلك إذا جعلوا المعنى يتصور من أجل الناظر بصورة وبيدو في هيئة ويتشكل بشكل يرجع المعنى في ذلك كله إلى الدلالات المعنوية ولا يصلح شيء منه حيث الكلام على ظاهره»، وحيث لا يكون كناية وتشيل ولا استعارة ولا استعارة في الجملة بمعنى على معنى، وتكون الدلالة على الغرض من مجرد المفهود فلو أن قاتلا قال: رأيت الأسد، وقال آخر: لقيت الميظ لم يجر أن يقول في الثاني إله صور المعنى في غير صورته الأولى ولا أن يقال: أبزه في معرض سوى معرضه ولا شيئاً من هذا الجنس<sup>(١)</sup>.

كما اقدمه، البلاغيون المتأخرون بعد القاهر في استدلاله على تفويت التفاوت عن الدلالة اللغوية (الوضعية) ينقل نفس عباراته في ذلك.

«ذلك لأنه لا يخلو السامع من أن يكون عالماً بالمعنى وبمعانى الآلاظط التي يسمعها أو يكون جاهلاً بذلك، فإن كان عالماً لم يتصور أن يتفاوت حال الآلاظط معه فيكون معنى لفظ أسرع إلى قلبه من معنى لفظ آخر، وإن كان جاهلاً كان ذلك في وصفه وبعد».

وجملة الأمر أنه إنما يتصور أن يكون المعنى أسرع فيما منه المعنى آخر إذا كان ذلك بما يدرك بالشّكر، وإذا كان بما يتتجدد له العلم به عند

البلغيين بأن أحد المفهومين المترادفين قليلاً يكون أكثر استعمالاً وبأن المفسر قد يكون أوضح من المفسر يفتح السنين - فيتناهى حيتناه الاختلاف في الوضوح والخفاء بالنسبة للدلالة الوضعية المطابقة، وأجاب على ذلك «بهر الدين السبكي»، بأن المفسر والمفسر مختلفان، إذ يبدل المفسر على الهيئة الاجتماعية، وأن كثرة استعمال أحد المترادفين لأمر عارض.

شرح التلخيص / ٣ / ٢٧٨

(١) دلائل الإيجاز ص: ١٨٠ ، ١٨١

سمعة لـ«الكلام»، وذلك محال في دلالات الألفاظ اللغوية؛ لأن طريق معرفتها التوقيف والتقدير بالتعريف<sup>(١)</sup>،

وحيث أفتدى المتأخرون بعد القاهر كارأينا في فن التفاوت عن الدلالة الوضعية وإثباته للعقلية فأى فرق بينما في ذلك؟

والجواب: أن «كلام عبد القاهر» السابق لا يغسل كل جوانب المسألة، وإنما يمثل جانبها، أي أنه لا يعتمد عليه فقط في تصوير رأي «عبد القاهر» في ذلك الاعتقاد عليه وحده بعد اعتقادنا ناقصاً، ومن هنا يجيء اختلاف المتأخرين عن «عبد القاهر»، فرأى «عبد القاهر» كاملاً في تلك المسألة.

#### الألفاظ المفردة:

إن «عبد القاهر» يريد بمعنى التفاوت عن الدلالة الوضعية: ما يتعلّق بالألفاظ المفردة — أعني الألفاظ المعجم التي تؤدي، معنى واحداً ولم توضع في تركيب أو تنظام في أسلوب، إذ لا قيمة لهذه الألفاظ في ذاتها وإنما قيمتها في علاقتها بالتركيب، وحسناً في دقة وقوعها من قضم الكلام

وقد أشار «عبد القاهر» إلى ذلك في عدة مواطن منها قوله في مطلع أسرار البلاغة، ومن هنالك يبين للحصول، ويتقرر في نفس المتأمل كيف ينبغي أن يتحكم في تفاصيل الأقوال إذا أراد أن يقسم بينها حظوظها من الاستحسان وبعد القسمة يصاب القسطاس والميزان ومن بين الجلى أن التباين في هذه الفضيلة، والتباين عنها إلى ما يبتغيها من الرذيلة ليس بمجرد اللفظ كيف؟ والألفاظ لا تفيد حتى تقول ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب<sup>(٢)</sup>.

(١) دلائل الإعجاز ص: ١٨٢، ١٨٣.

(٢) أسرار البلاغة ص: ٢٤١.

ويصرح « عبد القاهر » في دلائل الإعجاز بمعنى التفاوت عن الألفاظ المفردة المتعددة المعنى البعيدة عن التركيب، وبذلك طاحين تقع في أساليب تختلف في هيئة تاليتها وفي طرقها كثيرة حيث يقع التفاوت بينها من غير شك فيقول « قوله إن أنه يصح أن يعبر عن المعنى الواحد باللغتين يتحمل أمرين : أحدهما : أن تزيد باللغتين كلتين معناهما واحد في اللغة مثل الليث ، الأسد - ومثل شحط وبعد - وأشباه ذلك مما وضع الألفاظ فيه لمعنى - . »

ثانيةما : أن تزيد كلامين فلن أردت الأولى خرجت من المسألة لأن كلامنا نحن في فصاحة تحدث من بعد التأليف دون الفصاحة التي توصف بها الكلمة مفردة ومن غير أن يغير حالتها مع غيرها ، وإن أردت العانى ولابد ذلك من أن تريده فليس شيء أبين وأوضح وأحرى أن يكشف الشبهة عن متأمله في حصة ما قلناه من التشبيه فإليك تقول : زيد كالأسد أو مثل الأسد أو شبيه بالأسد ، فتجد ذلك كله تشبيها غفلات ساذجا ، ثم تقول لأن زيدا الأسد فيكون تشبيها إلا أنك ترى بيته وبين الأول بونا بعيدا<sup>(١)</sup> .

#### اتفاق النظم و اختلافه

ولذا كان المتأخرون قد غاب عنهم الجانب السابق وهم يتبعون « عبد القاهر » في فنق التفاوت عن الدلالة الوضعية ، فقد غاب عنهم جانب آخر أشد أهمية وأكبر خطرا ، إذ قرروا عدم تفاوت الدلالة الوضعية في عموم الأحوال كما عرفنا ، بينما قيد « عبد القاهر » ذلك الحكم في موضع آخر باتفاق النظم أما عند اختلاف النظم فإن التفاوت واقع لا محالة ومن أوضح الشواهد على ذلك الأساليب التي يختلف معناها لاختلافها بالتقديم والتأخير مع اتحاد الألفاظ فيها بينها ، ويعود كذلك قول عبد القاهر : « وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن ينفع من التفرقة بين

(١) دلائل الإعجاز ص : ٢٧٥

تقديم ما قدم فيها وترك تقديمه ، ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمسة فإن موضع السكالم على أنك إذا قلت : أفعلت فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه ، وكان شرطك من استفهامك أن تعلم وجوده ، وإذا قلت : أأنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه .<sup>(١)</sup>

ولعل من أوضح الشواهد على تحقيق التفاوت عند اختلاف النظم ما ذكره عن العلاقة بين النظم والشحو وأن أي تغير في نظام السكلام يدل على تغير في معناه ويتحقق ذلك مع : الخبر ، والشرط والجزاء ، والحال والثقة ، والفصل والوصل ، والتعريف والتفسير والتقديم والتأخير ، والخدع والتوكيل ، والاضمار والإظهار — والتي جعل منها المتأخرون دروس علم المعانى فيما بعد وما ذكره عن اختلاف المعنى لاختلاف النظم في وجوه الخبر : زيد متعلق ، وزيد ينطلق وينطلق زيد ، ومتطلق زيد ، وزيد المتطلق زيد ، وزيد هو المتعلق ، وزيد هو متطلق .

فإن لشكل عبارة من هذه العبارات معنى مختلف عن قبلها وما بعدها وذلك محدد والمعروف في موضعه من كتب البلاغة .

ومما سبق نستطيع أن نحدد ما بين المتأخرین وعبد القاهر حول القول بعدم تفاوت الدلالة الوضعية من اتفاق واختلاف ، وأن المتأخرین لم يتقدروا رأي عبد القاهر كاملاً عن عدم تفاوت الدلالة الوضعية ، ولذلك كان حكمهم أحياناً بعدم تفاوتها في كل الأحوال ، وما تولد عن ذلك الحكم من تتابع لا يقرها العقل كما سيظهر بعد ذلك أما تفاوت الدلالة الوضعية عند اختلاف الأساليب كما ذكر عبد القاهر فإنهAgainst الصواب وهو الذي تصرره طبيعة اللغة وتؤكده أساليبها .

(١) دلائل الإعجاز ص : ٨٥ ، ٨٦

## الفصل الثالث

### منزلة التشيه من علم البيان

عرفنا رأى المتأخرین وعلى رأیهم السکاکی فی أقسام الدلالات وعلاقة كل منها بعلم البيان ، وأن الدلالة الوضعية المطابقة لا تتفاوت وضوحاً وخفاءً مما يقطع علاقتها بعلم البيان الذي ينحصر في الدلالة العقلية بنوعها ، التضمنية والالاترافية ، لتحقق التفاوت فيها — واستنتجوا من ذلك : أن علم البيان يتمثل في المجاز والكتابية وأن التشيه ليس من البيان لمكون دلاته وضعية .

إنما جعل يابامن أبوابه حاجة الاستعارة إلیه وترتها عليه ويستهل السکاکی حديقه عن علم البيان بالتصريح بذلك فيقول ، وإذا عرفت أن إبراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كالزوم أحدهما بوجه من الوجوه ظهر ذلك أن علم البيان مرجمه اعتبار المللزمات بين المعاني ، وإذا ظهر ذلك أن مرجع علم البيان هاتان الجهتان ( الانتقال من اللازم إلى المزروع ، أو من المزروع إلى اللازم ) علمت اتصاب علم البيان إلى التعرض للمجاز والكتابية . فإن المجاز ينتقل فيه من المزروع إلى اللازم كما تقول : رعياناً غيّثا — والمراد لازمه وهو النبت ، وأن الكتابية ينتقل فيها من اللازم إلى المزروع كما تقول ، فلان طويلاً التجاد — والمراد طول القامة هو ملزوم طول التجاج فلا علينا أن نت忤دعاً أصلين .

ثم إن المجاز أعلى الاستعارة من حيث إنها من فروع التشيه لاتتحقق

يمجرد حصول الاتصال من الملزم إلى اللازم بل لا بد فيها من تقدمة تشيه شـ، وبذلك المزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض التشيه فلابد من أن تأخذه أصلاً ثالثاً وقدمه فهو الذي إذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في قانون السحر السياسي<sup>(١)</sup>.

وأطال البلاغيون بعد السكاكي النقاش في هذه المسألة وجمهورهم على متابعته فيما يحكم به على التشيه فالخطيب القرزي يقول في أبواب علم البيان ووجه حصرها « ثم الألفاظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز وإلا فهو كناية ، ثم المجاز منه الاستعارة وهي ما تقتضي على التشيه فيتحقق التعرض له فانحصر المقصود في التشيه والجاز والكناية ، وقدم التشيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التي هي بجاز على التشيه ، وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة المجاز من السكل »<sup>(٢)</sup>.

كما حمل بعض البلاغيين على السكاكي جعله التشيه باباً في البيان على الرغم من كون دلالته وضعية ، والقووا بذلك تفسيرآ يخالف ما سبق وهو كثرة مباحثته وتتنوع فوائدته<sup>(٣)</sup> فالمولى عصام<sup>(٤)</sup> يذكر أن ما قوله

(١) المفتاح ص ١٥٧

(٢) بغية الإيضاح ٦/٣

(٣) وكذلك قال ابن يعقوب المغربي: إن كثرة أحواله وجوع فوائده أوجب جعله باباً مستقلاً وعلى هذا فهو مقدمة في المعنى ، وإنما جعل باباً تشيرها له بالمقصود في كثرة الأبحاث ، شروح التلخيص ٢٩٠/٣

(٤) من شراح التلخيص ، وأسم شرحه: الأطول ، وقد توفى سنة ٩٥١ هـ ، البيان العربي ص ٢٧٠.

السماكي يستدعي تقديم التشبيه على الاستعارة وجوباً، وعلى المجاز استحساناً، كيلا يقع الفصل بين أنواع المجاز.

وأما أخذه أصلاً ثالثاً فلا يستدعيه أصلاً، بل الواجب أن يجعل مقدمة خارجة عن مقاصد هذا الفن، ويرؤيه ما قبل من أن دلالات التشبيه من حيث هي: دلالات وضعية لا عقلية، ويسوق المولى عصام عذرها بأنه وإن كانت في الحقيقة مقدمة خارجة، لكنه لكتشة مباحثه وأقسامه، وعموم تفاصيله وأحكامه، وتشعب فروعه، وقوة تفعه في المطالب البشارة قد أورق عن أن يجعل مقدمة ظلمته الضرورة قد أخذه أصلاً ادعياً لا حقيقياً.

ثم يقول: ولا يذهب عليك أن في جعل التشبيه أصلاً ثالثاً من البيان بهذا القدر تكلفنا بارداً أراد السماكي ترويجه بالبالغة في العبارة حيث قال: فلا بد من أن تاخذه أصلاً ثالثاً، مع أنه قال في الأصلين الحقيقين: «المجاز والكتابية»، فلا علينا أن نتخذها أصلين<sup>(١)</sup>.

وحيث قتبنا السماكي والبلغيين من بعده في: تقسم الدلالات وذكرنا أنهم لم يرجوا بحث الدلالات في حقل الدراسات البلاغية كما ذكر ذلك بعض البلاغيين والنقاد، وإنما كانوا متأثرين بمن سبقهم إلا أن أغراهم في التقييمات وبالتفهم في الجدل والاعتراضات هي التي أيدت ذلك البحث عن هذهنه الذي وضع له وأوضحت أنه دخيل على البلاغة وقرب من المشطى – كما يبتلي أن تقسم الدلالات إلى وضعية وعقلية اقتداء ببعض القادر لكتبه اقتداء غير كامل حيث أخذوا بعض رأيه وتركت معظمها – فأنما نرى كذلك أن رأيهم السابق حول التشبيه من أوضح آرائهم

(١) فن التشبيه: على المقدى، ٢٥/١ نقلًا عن «شرح الفوائد البشارية».

في البيان والدلالات تجاوزاً للصواب وتجاوزاً للعقل والمدحاق ، وخاصة السكاكي والبالغين من بعده في ذلك لا يجهل سببه بعد ما تقدم ، إذ بنوا حكمهم هذا على فهم فاقد لكلام عبد القاهر عن الدلالة الوضعيه بخلاف استنتاجهم خاطئاً ، وكان يكفي في تقرير أن التشبيه يتفاوت وضوها وخفاء وأنه من علم البيان في مقام كرم يناسبيق توسيعه من تقفاوت الدلالة الوضعيه لكننا رأينا زيادة في تأكيد القول [إنصافاً للتشبيه واعتراضًا بظيم منزلته أن تسوق أدلة أخرى] . تتحقق له الصداره وتثبت له الأصله من البيان : على القول بأن دلالة التشبيه وضعية .

فقد ذكرنا فيما مضى الرأي المفصل عبد القاهر في تقفاوت الدلالة الوضعيه إذا اختلف النظم ، وقد زاد عبد القاهر المسألة توسيعها بتقدیمه عدداً من أساليب التشبيه التي اختلفت بمعانیها قوّة وضفافاً لاختلاف بين أدواتها ، ولا اختلاف إفی ترتيبها فيقول : « وجملة الأمر أن صور المعانی لا تتغير بتنقلها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ويعاظ و حتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة ولكن يشار بمعانیها إلى معانٍ آخر ، وأعلم أن هذا كذلك ما دام النظم واحداً فاما إذا تغير النظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى كقولك : إن زيداً كالأسد ، وكان زيداً للأسد . ذلك لأنك لم يتغير من اللفظ شيء ، وإنما تغير النظم فقط . . . . »

آلا ترى أن ليس المزية التي تجدها القولك : كان زيداً كالأسد على قولك : زيد كالأسد شيئاً خارجاً عن التشبيه الذي هو أصل المعنى وإنما هو زيادة فيه وفي حكم التصوصية في الشكل ، تحرر أن يصاغ خاتم على وجه وآخر على وجه آخر تجمعاًهما صورة الخاتم ، ويقتربان بخاصة وشئء يعلم إلا أنه لا يعلم منفرداً (١) .

(١) دلائل الإعجاز ص ١٨٦ ، ١٨٧

ويريد عبد القاهر ، توضيح ذلك في مكان آخر فيقول : « إنك تقول : زيد كالأسد ، أو مثل الأسد ، أو شبيه بالأسد فتجد ذلك كله تعبيراً غفلاً ساذجاً ثم تقول : كأن زيداً الأسد فيكون تشبيهاً أيضاً ، إلا أنك ترى بيته وبين الأول بونا بعيداً لأنك ترى له صورة خاصة ، وتجدك قد غضت المعنى وذلت فيه بأن أنت أنه بلغ إِمَان الشجاعه وشدة البطش وأن قلبه قلب لا يخامره الذعر ولا يدخله الروع ، بحيث يتورّم أنه الأسد بعينه ثم تقول : لكن لقتيه ليقيتك منه الأسد فتجده قد أفاد هذه البلاغة ، لكن في صورة أحسن وصنة أحسن ، وذلك أنك تجعله في [كأن] يتورّم أنه الأسد ، وتجعل له هنّا يرى منه الأسد على القلبي فيخرج الأمو عن حد التورّم إلى حد اليقين ، (١) .

— الدلالة الوضعية في التشبيه لا تظهر إلا في ذاوية محددة منه وهي أدواته التي منها : السكاف ، ومثل ، وكأن ، وغيرها .

وبعد ذلك يقوم العقل والخيال بدور كبير في صنع التشبيه وتأليقه ولذا كان على لتشبيهات واراتفاع قدرها بمقدار ما فيها من عمق النسكل وبعد الخيال ، وذلك يحملني أرى أن دلالة التشبيه مجموعة من الوضعية والعقلية مع زيادة حظه من العقلية ، ولقد ذكر عبد القاهر ، من قبل في « أسرار البلاغة » ، أن التشبيه قياس ، والقياس يمرى فيما تعيه القلوب ، وقدر كـ العقول و تستفي فيـه الأفهام والأدلةـان لا الأسمـاع والأذـان (٢) .

ومن الغريب أن نجد بعض المتأخرـين الذين قرروا عدم تفاوت التشبيه لكون دلالـته وضعـية ما يـوقـد رأـينا السـابـقـ منـ أنـ التشـبـيهـ يـجـمعـ فـدـلـالـتهـ بـيـنـ الـوضـعـيـةـ وـالـعـقـلـيـةـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ إـصـراـرـهـ عـلـىـ مـاـ ذـهـبـواـ إـلـيـهـ وـأـنـ دـلـ

(١) المرجع السابق ص ٢٧٧

(٢) أسرار البلاغة ص ١٤

ذلك على شيء، فإنما يدل على تأكيد خلطهم في قولهم بعدم تفاوت التشبيه، وعلى تناقضهم في أحکامهم، فيذكر المؤول عصام أن دلالة التشبيهات من حيث هي: دلالات وضعية لا عقلية، لكن ليس المقصود الأصل المعانى الوضعية فقط؛ فلن قولك، وجه كالبدر، مثلاً لا تريده به ما هو مفهومه وضعاً، بل تريده ذلك الوجه المتناهي في الحسن، لكن ذلك لا ينافي إرادة المفهوم الوضعي<sup>(١)</sup>.

وكذلك يذكر ابن يعقوب المغربي أن «وجه كالبدر» مدلوله المطابق، أن الوجه يشبه البدر في الاستدارة والاستئارة وهو المراد مع إرادة لازمه وهو أنه في نهاية الحسن.

ولحصة أن يراد من التشبيه المعنى المطابق، وهو اتصاف المشبه بوجه الشبيه أو لازمه صح وجود الخفاء والوضوح فيه مع أنه ليس من السكتانية ولا من الجازيل من المطابقة اتفاقاً<sup>(٢)</sup>.

هذا، كيف يدل كلام العصام وابن يعقوب على ما في التشبيه من تفاوت مع إصرارهما على أن دلاته مطابقية؟

وأشد غرابة مما سبق، وأوضح دلالة على تناقض المتأخر في حكمهم على التشبيه — ما ذكره عن مراتب التشبيه من فاحية طرفه وأدواته، ووجهه بقريه أو بيده، وإنفراده أو تركيه وغير ذلك.

وقد تحدث السكاكي في نهاية التشبيه عن «مراتب التشبيه» من حيث

(١) راجع: في التشبيه ٢٧/١

(٢) فـ: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح — وهو أحد شروح التلخيص وقد توفى ابن يعقوب سنة ١١١٠ هـ — البلاغة تطور وقاريئخ

أركانه ذكر أن أركان التشيه أربعة : المشبه ، والمشبه به ، أدلة التشيه ، وجه الشبه ، وأن مراتبه في القوة والضعف في المبالغة من حيث ذكر الأركان كلها أو بعضها ثماني مراتب : أضعفها : زيد كالأسد في المجموعة وأقوىها : زيد أسد وأنهى السكاكي كلامه بذكر أن التشيه كذلك له مراتب باعتبار أقسامه من كون وجه الشبه فيه مفرداً أو مركباً حسياً أو عقلياً إلى غير ذلك من أقسامه<sup>(١)</sup>.

فهـى كـيف جـعل السـكاـكـي التـشـيه يـتفـاـوـتـ بالـنـسـبـة لـكـلـ رـكـنـ منـ أـرـكـانـهـ فـيـ الـوقـتـ الـتـيـ يـجـعـلـهـ غـيرـ أـصـيلـ فـيـ الـبـيـانـ لـكـونـ دـلـالـهـ وـضـعـيـةـ لاـ تـنـفـاوـتـ وـضـوـحـاـ وـلاـ خـفـاءـ مـوـقـفـانـ مـتـاقـضـانـ ،ـ وـلـكـنـهاـ عـلـىـ حدـ رـأـيـ أحدـ عـلـمـاءـ الـبـلـاغـةـ الـمـعاـصـرـينـ يـتـبـثـانـ عـنـ مـيـلـعـ الـاضـطـرـابـ الـذـيـ أـلـىـ سـعـدـ الدـيـنـ التـفـتـازـانـ فـيـ تـمـرـدـهـ عـلـىـ مـقـدـمـةـ السـكاـكـيـ لـعـلـمـ الـبـيـانـ ،ـ وـهـاـ فـيـ ذاتـ الـوقـتـ فـيـ صـالـحـ التـشـيهـ الـذـيـ يـعـدـ مـنـ عـلـمـ الـبـيـانـ فـيـ أـكـرمـ عـلـ وـأـسـمـيـ مـكـانـ<sup>(٢)</sup>.

لـقـدـ عـدـ بـعـضـ عـلـمـاءـ الـبـلـاغـةـ التـشـيهـ مـنـ الـجـازـ .ـ وـمـنـهـ :ـ اـبـنـ الـأـئـمـىـ ضـيـاءـ الدـيـنـ<sup>(٣)</sup> ،ـ وـيـعـيـيـ بنـ حـرـةـ الـعـلـوـىـ<sup>(٤)</sup>ـ وـابـنـ حـجـةـ الـحـوـىـ<sup>(٥)</sup>ـ وـغـيرـهـ .ـ وـأـخـتـلـفـ بـعـضـهـمـ فـيـ التـشـيهـ الـضـمـرـ الـأـدـاءـ أـهـوـ مـنـ قـبـيلـ التـشـيهـ أـمـ مـنـ قـبـيلـ الـاسـتـمـارـةـ<sup>(٦)</sup>ـ وـعـلـىـ القـوـلـ يـأـدـهـ جـازـ وـنـحنـ لـأـتـمـيلـ إـلـيـهـ فـيـانـ تـفـاوـتـهـ

(١) المفتاح ص ٦٨٠ وبقية الإيصالح ٨٠/٣

(٢) البلاغة التطبيقية د / أحمد مرسي ص ١٥

(٣) المثل السائر : ١٣٨/١ - القاهرة .

(٤) الفراز ٢٦١ ، ٢٦٠/١

(٥) خزانة الأدب : ٥٣٢ ط بيروت . وقد توفى الحوى سنة ٨٧٣

افتظر : الصبح للابديعى ص ٣٩٠

(٦) انظر البلاغة التطبيقية ص ٢٢١ وما بعدها .

(١١ - البلاغة)

ليس مخلاً لنقاش الكون دلالة عقلية ، أما على أنه من الحقيقة وهو  
ما تؤيده لاتفاقه مع قوانين الله .

فقد عرفنا أن المتأخرین وعلى رأیهم السکاكی يجعلونه من مقدمات  
علم البيان وليس من مقاصده لعدم تفاوت دلالة الوضعية وعرفنا مبلغ  
الخطأ في ذلك ومره ووقفنا من خلال الأمثلة على فتاوت الدلالة  
الوضعية ، وعلى القول بأنه يجمع في دلالته بين الوضعية والعلقانية كارجحنا  
فإنه متفاوت لا محالة كما وضحت بذلك وسواء أكانت دلالته وضعية أو  
وضعية وعلقانية ، فإنه فن أصيل من فنون البيان ، بل إنه الأساس  
الذى تبنى عليه وجوه البيان الأخرى من بحث بأقسامه وكتاباته بوجوها .

### خاتمة البحث

ونخرج من هذا البحث بعدد من النتائج منها :

- ١ - أن مبحث الدلالات كثيرة من بقية أبحاث البلاغة التي تأثر فيها المتأخرون بالمتقدمين ، وليس من ابتداع السكاكي أو ما أدخله على البلاغة كرأى ذلك بعض الباحثين .
- ٢ - أن له صلة قوية بعموم البلاغة ، حيث يوضح وجود التعبير عن المعنى الذي هو موضوع البلاغة ، لذا تعد الدعوة يانغاته وتنفيذه البلاغة منه دعوة مبالغة فيها .
- ٣ - لم يتتجاوز ذلك البحث هدفه الذي وضع له إلا على يد المتأخرين (الذين حولوه إلى بحث في أنواع الدلالات ما يتفاوت منها وما لا يتفاوت .
- ٤ - أن يجعل ذلك البحث مدخلاً للبلاغة وليس للبيان وحده على منهج الملاحظ ، وعبد القاهر وليس على منهج المتأخرين .

## المراجع

- | المؤلف                 | الكتاب                       | بيانات                         |
|------------------------|------------------------------|--------------------------------|
| ١ - ابن حجة الحوى      | خزانة الأدب                  | ط بيروت                        |
| ٢ - ابن شاكر الكتبى    | فوات الوفيات                 | تحقيق د / إحسان عباس ط بيروت   |
| ٣ - ابن منظور          | لسان العرب                   | الدار المصرية للتأليف والترجمة |
| ٤ - ابن يعقوب المغربي  | مواهب الفتاح من شروح التلخيص | ط الحلبي                       |
| ٥ - أبو هلال العسكري   | الصناعتين تحقيق على الجاوي   | ومحمد أبو الفضل                |
| ٦ - أحمد حسن الزيات    | دفاع عن البلاغة              | مطبعة الرسالة ١٩٤٥ م           |
| ٧ - أحمد مصطفى المراغي | علوم البلاغة                 | ط أولى والتعریف برجاءها        |
| ٨ - أحمد مطلوب (د)     | مصطلحات بلاغية               | ط أولى ١٣٩٢ هـ م ١٩٧٢          |
| ٩ - أحمد موسى (د)      | الصيغ البديعى                | ط أولى ١٣٩٢ هـ م ١٩٧٢          |
| ١٠ - أحمد موسى (د)     | البلاغة التطبيقية            | ط أولى ١٩٦٣ م                  |
| ١١ - أمين الحوى        | البلاغة وعلم النفس           | مجلة كلية الآداب               |
| ١٢ - أمين الحوى        | فن القول                     | ط الحلبي                       |

المؤلف	الكتاب	بيانات
١٣ - بدوى طباعة (د)	البيان العربي	طب خامسة بيروت
١٤ - الجاحظ	البيان والتدين	١٩٧٢ م تحقيق د / عبد السلام
١٥ - حامد عبد القادر	دراسات في علم النفس الأدبي	هارون طرابعة المطبعة الخوازجية
١٦ - الخطابي	بيان إعجاز القرآن	حل ثانية دار المعارف
١٧ - درويش الجندي (د)	علم المعانى	دار نهضة مصر
١٨ - الرمانى	النكث في إعجاز القرآن	ط. ثانية دار المعارف
١٩ - الزمخشري	الكشاف	١٩٦٨ م ط الحلبي - ١٣٩٢ هـ
٢٠ - سعد الدين التفتازاني	المطول	١٩٧٢ م ط أحمد كامل
٢١ - السلاكي	مفتاح العلوم	١٩٣٧ م ط أولى الحلبي - ١٣٥٦ هـ
٢٢ - سيد قطب	النقد الأدبي :	١٩٣٧ م ط خامسة بيروت .
٢٣ - السيوطي	أصوله ومتناجه	١٤٠٣ - ١٩٨٣ م المزهر
٢٤ - السيوطي	الإتقان	تحقيق: جاد المولى وآخرون
٢٥ - السيوطي	معترك الأقران	تحقيق: محمد أبو الفضل
		١٩٦٧ م ط أولى
		Dar Al-Fikr - تحقيق: علی البجاوی

المؤلف	الكتاب	بيانات
٢٦ - السيوطي	حسن الحاضرة	تحقيق / محمد أبو الفضل
٢٧ - السيوطي	الحدث بنعمة الله	تحقيق : اليابث ماري سارتين - المطبعة الخديوية
٢٨ - السيوطي	التجهيز في علم التفسير	التجهيز في علم التفسير تحقيق : د / فتحي فريد دار العلوم ببارياض ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٢ م
٢٩ - شوق حبيب (د)	البلاغة طلور و تاريخ	١٩٦٥ طدار المعارف المشل السائر دار المعارف قديمة - القاهرة
٣٠ - ضياء الدين بن الآثير	في تاريخ البلاغة	بيروت ١٩٧٠
٣١ - عبد العزiz عتيق (د)	دلائل الإعجاز	تحقيق : أحمد مصطفى المراغي
٣٢ - عبد القاهر الجرجاني	أمثال البلاغة	تحقيق : السيد محمد رشيد رضا
٣٣ - عبد القاهر الجرجاني	بغية الإيضاح	١٤٠٤ هـ - ١٩٨٢ م ط سادسة
٣٤ - عبد المعتمد الصعيدي	التفسير النفي للأدب للأدب	دار المعارف ط ثانية ١٩٩٦ م
٣٥ - عز الدين (د) إسماعيل (د)	فن التشبيه	مكتبة الراحلة المصري -
٣٦ - علي الجندى	المدخل إلى دراسة	١٩٧٨
٣٧ - فتحي فريد (د)	البلاغة	

- |  |   |
|--|---|
| الكلمات<br>بيانات  | المراجع   |
| الواسطة بين المتنى<br>وخصوصه   | ٣٨ - القاضي الجرجاني  |
| أثر القرآن في تطور<br>البلاغة العربية                                | ٣٩ - كامل الحولى (د)  |
| مكتبة البعثة<br>المصرية .  | ٤٠ - ماهر حسن فهمي (د)                                      |
| من الوجهة النفسية .<br>عبدالقاهر والبلاغة<br>العربية ط أولى سنة ١٩٥٢ | ٤١ - محمد خلف الله (د)<br>٤٢ - محمد عبد المنعم<br>خفاجى (د) |
| النقد والقاد<br>المعاصرون  | ٤٣ - محمد مندور (د)   |
| نظريات العلاقات<br>منهج الرؤى<br>في تفسير القرآن                     | ٤٤ - محمد نايل (د)<br>٤٥ - مصطفى الجويبي (د)                |
| الطراز ط المقتطف ١٩١٤ م  | ٤٦ - يحيى العلوى  |



## المحتوى

### صفحة

٣	١ — المحتوى
٤	٢ — مقدمة
٥ — ١٠	٣ — أقصى العرب
١١ — ١٦	٤ — مؤلفات السيرطى
١٧ — ٦٢	٥ — الدرس البلاغى في تجربة جديدة
٦٣ — ٩٥	٦ — البلاغة بين الطبع والصنعة
٦٨	(١) الفصل الاول : نشأة البلاغة وتطورها
٧٩	(ب) (٢) الثاني : معنى البلاغة وتعريفاتها
٨٢	(ج) (٣) الثالث : الهدف من دراسة البلاغة
٨٧	(د) (٤) الرابع : آلات البلاغة
٩٦ — ١٠٨	٧ — السرعة وبلاهة العمل الأدبي
١٠٩ — ١٢٩	٨ — حول الوجه التفصي في الدرس البلاغي
١٣٠ — ١٦٤	٩ — المدخل إلى علم البيان بين عبد القاهر والمتاخرين
١٣٢	(١) تمود : البيان في اللغة والبلاغة
١٤١	(ب) الفصل الاول : الدلالات — منزلتها من البلاغة
١٤٨	(ج) (٢) الثاني : الدلالة الوضعية بين التفاوت وعدمه
١٥٦	(د) (٣) الثالث : منزلة التشيه من علم البيان
١٦٥	١٠ — المراجع

رقم الإيداع بدار الكتب

٢٨٨٩ / ١٩٨٤ م

الترقيم الدولي ٢ - ٤٠ - ١٠٠ - ٩٧٧